مُذَكِّر كُلَّ المُذَكِّرَات

خادم يوسف 2025

من كلام المسيح الموعود عليه الصلاة والسلام من نسيم الدعوة.

"جميع الأشياء التي تعمل في هذا العالَم للحفاظ على نظام العالم إنما هي نماذج أسماء الله وصفاته في الحقيقة التي تتجلى في أسلوب المجاز. وكأن الأجرام السماوية والعناصر الأرضية أوراق كتابٍ نتلقى بواسطتها درس المعرفة بصفات الله تعالى." نسيم الدعوة، صـ127

"لا يظنن أحد أن كلّها آلهة في الحقيقة، بل الحق أنها تحت سيطرة مالك واحد، وقد خُلقت لفائدة البشر. لقد استخدمت كلمة 'الإله' هنا كاستعارة".

نسيم الدعوة، صـ121

"فتبين من هذا البحث كله أن هذه الآلهة الأربعة المجازية المذكورة في الفيدا تتصف بأربع صفات مجازية... فهذه الصفات مشهودة ومحسوسة. وبناء على هذه الأمور عدّها ذو

العقول السطحية آلهةً حقيقية، وحسبوها 'أرباب النوع' وجديرة بالعبادة." المصدر: نسيم الدعوة، ص123

"وإن أعمالها ليست ناتجة عن إرادتها، بل إن قوة الله تعمل وراءها كلها... فكأنها ميتة في يد الحي." نسيم الدعوة، ص122

"مثل هذه الاستعارات موجودة في الفيدا بكثرة، وهي تبدو في البداية كأفكار الشعراء، ولكن لو تعمقنا فيها أكثر لتراءى فيها شيء من لمعان علمي أيضاً." نسيم الدعوة، ص122

"لذا فإن هذه الاشياء لاتستحق العبادة . وإضافة الى ذلك ، إن أعمالها ليست ناتجة عن ارادتها ، بل إن قوة الله تعمل وراءها كلها ". نسيم الدعوة، ص126

"إن قطعة الحديد التي اتخذت هيئة النار بدخولها النار، يمكن أن نقول بأنها تحرق وتضيء أيضاً، ولكن تلك الصفات ليست صفاتها، بل هي صفات النار." نسيم الدعوة، ص131

فهرس الكتاب:

مقدمة الكتاب.

الفصل الأول: حضارات الشرق الأدنى القديم

1. حضارة السومريين (4500–1900 ق.م) — جنوب العراق

2. حضارة الأكديين (2334–2154 ق.م) — وسط وجنوب العراق

3. حضارة البابليين (1894–539 ق.م) — العراق

4. حضارة الآشوريين (2500–609 ق.م) — شمال العراق

5. حضارة الكنعانيين (3000–1200 ق.م) — الشام

6. حضارة الفينيقيين (1200–539 ق.م) — سواحل لبنان وسوريا

7. حضارة الحثيين (1600–1178 ق.م) — الأناضول

8. حضارة الآراميين (1100–700 ق.م) — سوريا

9. حضارة السامريين (القرن 10 ق.م–القرن 7 م) — فلسطين

الفصل الثاني: حضارات وادي النيل

10. الحضارة المصرية القديمة (3100–332 ق.م) — مصر والسودان

11. حضارة النوبة وكوش (2500–300 ق.م) — السودان

الفصل الثالث: الحضارات الفارسية والزردشتية

12. حضارة العيلاميين (2700–539 ق.م) — جنوب غرب إيران

13. الإمبراطورية الميدية (678–549 ق.م) — شمال إيران

14. الإمبراطورية الأخمينية (550–330 ق.م) — إيران

15. الزردشتية كميراث ديني توحيدي رمزي

الفصل الرابع: حضارات الهند الكبرى

16. حضارة وادي السند (3300–1300 ق.م) — شمال الهند

17. الحضارة الفيدية والبرهمية (1500 ق.م فصاعدًا) — الهند

18. الهندوسية وتطور تعدد الآلهة

19. الديانات الجاينية والبوذية كتفاعل فلسفي مع الموروث

الفصل الخامس: الحضارات الصينية والتبتية

20. الحضارة الصينية القديمة (2200 ق.م فصاعدًا) — الصين

21. الطاوية والكونفوشيوسية

22. البوذية الصينية والتبتية

الفصل السادس: حضارات آسيا الصغرى والوسطى

23. حضارة أورارتو (860–590 ق.م) — شرق تركيا وأرمينيا

24. الحضارة السيثية (800–300 ق.م) — أوراسيا

25. حضارة الترك والمانشو والمغول

الفصل السابع: حضارات اليونان والرومان

26. الحضارة المينوسية (2700–1450 ق.م) — كريت

27. الحضارة الميسينية (1600–1100 ق.م) — اليونان

28. الحضارة الإغريقية (800–146 ق.م) — اليونان

29. الحضارة الرومانية (753 ق.م–476 م) — إيطاليا وأوروبا

30. الديانة الرومانية والهلّينية وتعدد الآلهة

الفصل الثامن: حضارات أوروبا الشمالية والغربية

31. حضارة الكلت (1200 ق.م–600 م) — أوروبا الغربية

32. حضارة الإتروريين (900–100 ق.م) — إيطاليا

33. حضارة الفايكنغ والجرمان (800–1100 م) — شمال أوروبا

34. الأساطير السلافية والبالتية

الفصل التاسع: حضارات أفريقيا جنوب الصحراء

35. حضارة اليوروبا — نيجيريا

36. حضارة الإيغبو — نيجيريا

37. حضارات البانتو — وسط أفريقيا

38. حضارة الأشانتي — غانا

39. الديانات الأفريقية التقليدية كرمز للتوحيد الموروث

الفصل العاشر: حضارات الأمريكيتين

40. حضارة الأولمك (1600–400 ق.م) — المكسيك

41. حضارة المايا (2000 ق.م–1697 م) — أمريكا الوسطى

42. حضارة الأزتك (1300–1521 م) — المكسيك

43. حضارة الإنكا (1438–1533 م) — البيرو

44. الهنود الحمر وأديانهم الرمزية

الفصل الحادي عشر: الحضارات البعيدة والجزرية

45. حضارة الإنويت — القطب الشمالي

46. حضارة الأينو — شمال اليابان

47. حضارات بولينيزيا وهاواي

48. حضارات أستراليا الأصلية

الفصل الثاني عشر: حضارات منسية

49. حضارة الباسك — جبال البيرينيه

50. حضارة الدرافيديين — جنوب الهند

51. حضارة الأتراك القدامى في آسيا الوسطى

خاتمة الكتاب.

***

مقدمة الكتاب

منذ فجر التاريخ، كانت فكرة الإله الواحد أشبه بنجم بعيد في سماء العقل البشري؛ يرى الإنسان نوره، لكنه لا يستطيع أن يلمسه. كان ينظر إلى الكون من حوله، فيرى قوى متعددة: شمس تعطي، وقمر يهدي، ونار تحرق، وماء يُحيي، وظن أن لكل قوة إله، ولكل ظاهرة ربّ، فامتلأت الأرض بالآلهة، وتعددت الأسماء، واختلطت الرموز. لم يكن العقل البدائي ليستوعب أن كل هذه القوى، على اختلافها، إنما تخضع لإرادة واحدة، وتنبثق من ذات واحدة، فراح يجزّيء الإله، ويقسم صفاته، ويعبدها متفرقة. كانت فكرة التوحيد الحقة ثقيلة على عقل الإنسان، تفوق خياله، وتتجاوز قدرته على الفهم، لذا ما أن يُبعث نبي حتى تُحرف دعوته سريعًا، ويُنسى اسمه أو يُؤلَّه ذاته. لقد جاء بوذا يدعو إلى الاستقامة والصدق والنقاء، وأشار في عمق حكمته إلى وجود قوة أعلى، لكن تلاميذه سرعان ما نسجوا حوله الأساطير، ورفعوه إلى مصاف الآلهة. وجاء كونفوشيوس بالحكمة، يدعو إلى نظام أخلاقي متناغم مع السماء، لكنه لم يُفهم كرسول، بل كفيلسوف. في قديم الزمان لم تفهم البشرية الأنبياء، لكنها لم تكن تطيق التوحيد الذي جاؤوا به. ثم جاء إبراهيم عليه السلام، فكسر الأصنام، ورفع راية التوحيد خالصة، فبدأ النور يلمع من جديد، لكنه بقي محاصرًا. وفي زمن موسى عليه السلام، اشتدّ النور، وظهر شِرعًا وكتابًا، فحمل بنو إسرائيل التوراة، لكنهم سرعان ما خلطوها بكتبهم وموروثاتهم. حتى جاء عيسى عليه السلام، بنقاء عظيم، فشق النور طريقه إلى القلوب، ولكن الناس عبدوه بدل أن يتبعوه، وقالوا: هو الله. ثم كان الخاتم: محمد صلى الله عليه وسلم، الذي جاء بكلمة واحدة جمعت كل الرسالات، وثبّت بها التوحيد في الأرض: لا إله إلا الله. كان الإسلام نداء الفطرة وقد نضج، وكان الوحي بعد أن شبّ، فجاء بكمالٍ لم تعرفه البشرية من قبل. رفع الله في الإسلام ذاته فوق كل تشبيه، وأعلن: {لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ}، فلا صنم، ولا صورة، ولا جسد، ولا ظل، بل إله واحد، عظيم، رحمن، رحيم، مالك يوم الدين. لقد تدرّجت البشرية في فهم التوحيد عبر آلاف السنين، من الخرافة إلى الرمز، ومن الرمز إلى الحكمة، ومن الحكمة إلى الوحي الكامل. واليوم، بعد أن نضجت

العقول، وأشرقت الأرض بنور ربها، لم يبقَ للناس إلا أن يعودوا إلى الأصل، ويقولوا مع إبراهيم: إني وجهت وجهي للذي فطر السماوات والأرض حنيفًا، وما أنا من المشركين. إن الإسلام كان أعظم لحظة وعي روحي في تاريخ البشرية. لقد أخذ بأيدي الناس من ظلام التصورات الغامضة عن الله، من عبادة الرموز والصور، من تعدد الآلهة وتنازعها، إلى نور التوحيد الخالص، الصافي، الجلي، الذي لا لبس فيه ولا شبهة. في الإسلام، أصبح الله معلومًا بالفطرة، مُعظَّمًا بالعقل، محبوبًا بالقلب، ومعبودًا بالحق. لا تمثال له، ولا تجسيد، ولا وساطة. هو {اللَّهُ لَا إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ}، ليس كمثله شيء، وهو السميع البصير. الإسلام لم يكتفِ بإعلان التوحيد، بل جعله روح الحياة، وبوصلتها، وسرّ الوجود كله. أما محمد صلى الله عليه وسلم، فهو الإنسان الذي تجلّى فيه التوحيد حيًّا ناطقًا. لم يكن فقط نبيًا، بل كان أعظم مُفسرٍ لوحدانية الله. في كلامه، في أفعاله، في رحمته، في عدله، في زهده، في جهاده، في سكوته، في سكينته... كان التوحيد يمشي على الأرض.

لم يأتِ ليفرض إلهًا جديدًا، بل ليعيد الناس إلى الإله الذي عرفوه يومًا ثم نسوه، ليرفع الستار عن وجه الحقيقة، وليقول للبشرية كلها: هذا هو الله، ليس منكم، ولا من صنعكم، بل هو خالقكم وربكم، فاعبدوه وحده، وأحبوه وحده، وارجوا رحمته وحده. لقد جعل النبي محمد التوحيد بديهيًّا في القلوب، ومنطقيًّا في العقول، وجميلاً في الحياة. ولهذا لا يُذكر اسمه إلا ويُقال بعده: صلّى الله عليه وسلم، ليس من باب العادة، بل من باب الوفاء، والعرفان، والحب العميق لمن أهدى للعالم مفتاح معرفة الله ووحدانيته.

إذا كان الناس من قبله قد عبدوا الشمس، والقمر، والنار، والماء... فهو من علّمهم أن كل هذه المخلوقات تقول: "سبحان الله"، لا "أنا الله."

ولهذا، فإن أعظم هدية للبشرية ليست العلم، ولا الفلسفة، ولا الحضارة... بل كلمة واحدة قالها محمد للعالم: لا إله إلا الله.

هذا الكتاب يجمع بين التاريخ والرمز والتوحيد هو أشبه برحلة نورانية تُعيد للقاريء وعيه الروحي الأول، وتُرشده إلى أعماق لم يكن ليبلغها بغير التأمل الهادئ والمقارنة الصادقة. وفيما يلي أبرز فوائده:

1 .كشف جذور التوحيد في أعماق التاريخ: الكتاب يُظهر أن فكرة الإله الواحد لم تكن طارئة، بل كانت تسكن الفطرة البشرية منذ الأزل. حتى الأمم الضالة التي عبدت الشمس أو النار كانت، في جوهرها، تبحث عن الله. هذا الفهم يُعزّز الإيمان بأن التوحيد هو الأصل، وأن الشرك دخيل طاريء.

2 .فهم رمزية الأديان والأساطير القديمة: حين تقرأ كيف أن آلهة مثل رع، أو إندر، أو زيوس، ما هي إلا صفات لله مجزّأة، تدرك أن التاريخ الديني للبشر ليس خطًا منقطعا، بل هو نهر واحد تلوّث ثم نُقّي بالوحي من آن لآخر. هذه الرؤية تُنمّي الفهم العميق وتتجاوز الأحكام السطحية على الديانات.

3 .تعظيم مقام الإسلام والرسول محمد صلى الله عليه وسلم: الكتاب يُظهر كيف بلغ التوحيد كماله في الإسلام، وكيف أن النبي محمد هو الخاتم الذي وحّد الصفات المبعثرة في إله واحد، وعاد بالبشر إلى خالقهم الحقيقي. وهذه مقارنة تُشعر القاريء بعظمة الرسالة المحمدية وقدرها في التاريخ.

4 .إعادة قراءة التاريخ بمنظور إيماني غير تقليدي: ليس التاريخ هنا مجرد ملوك ومعارك، بل حكاية قلب بشري يبحث عن الله. وهذا يُحوّل القراءة من ثقافة إلى بصيرة، ومن معرفة إلى هداية.

5 .التأسيس للتقريب بين الشعوب لا بتذويب العقائد، بل بإظهار الأصل الواحد: الكتاب يُظهر أن كل الحضارات، وإن تفرقت، كانت تدور حول مركز واحد، وتبحث عن الحقيقة ذاتها. وهذه الرؤية تعزز السلام الداخلي والخارجي، وتُمهّد لحوار عميق بين الأديان على قاعدة التوحيد.

6 .إحياء عظمة الأنبياء المهملين والرسالات المنسية: من خلال رؤية رمزية وتوحيدية، يعيد الكتاب الاعتبار لأنبياء كُثر غطّاهم النسيان أو الأسطورة، مثل بوذا وكونفوشيوس، ويُظهر أنهم كانوا أيضًا رسلاً إلى أقوامهم، دَعَوا إلى الله، ثم حُرفت رسالاتهم.

7 .إدراك كيف يتجلّى الله في التاريخ، لا في الصور، بل في المعاني: الكتاب يُعلّم القاريء أن الله لا يُرى في الأصنام، بل يُفهم في الحكمة، في الرحمة، في النظام، في العدل... وأن هذه الصفات حين تُقرأ بصدق، تُعيد الإنسان إلى الله.

باختصار: الكتاب ليس مجرد دراسة تاريخية، بل هو مرآة روحية يرى القاريء فيها ملامح الله في كل حضارة، ثم يكتشف أن كل تلك الملامح تجتمع في وجه واحد، هو الله الواحد الأحد، الذي عرفه الإسلام، وكشفه الوحي، ودعا إليه جميع الأنبياء، لكنهم لم يعرفوه.

وهنا نذكر تفاصيل تأليف هذا الكتاب.

يقول يوسف بن المسيح عليه الصلاة والسلام: تمام و أضف لذلك صلاة استخارة و ابعث لي بالرؤيا.

خادم يوسف : شفت واحد اسمو فادي قال جملتين تذكرت واحدة والثانية نسيتها إحدى الجمل: " مُذَكِّر كُلَّ المُذَكِّرَات" وهذه رؤيا استخارة

يقول يوسف بن المسيح عليه الصلاة والسلام: هذه رسالة من الله على صدق منحى المسيح الموعود في نسيم الدعوة على أنّ كل انبياء الامم كانوا مُذَكِّرات و المسيح هو مُذَكِّر بكل هؤلاء. وأن تلك الالهة ما هي الا صفات الله ظنوها الهة متفرقة لكنها صفات الرب الواحد.

خادم يوسف 2025

الفصل الأول: حضارات الشرق الأدنى القديم

1 حضارة السومريين (4500–1900 ق.م) — جنوب العراق.

تُعدّ الحضارة السومرية من أقدم الحضارات في التاريخ البشري، وقد نشأت في منطقة بلاد ما بين النهرين، تحديدًا في جنوب العراق الحالي، حوالي الألفية الرابعة قبل الميلاد. أسس السومريون مدنًا مزدهرة مثل أور وأوروك ولجش، وقدموا إسهامات كبيرة في مجالات الكتابة والعمارة والقانون.

من أبرز إنجازاتهم تطوير الكتابة المسمارية، التي تُعدّ من أقدم أنظمة الكتابة في العالم، مما ساهم في توثيق التاريخ ونقل المعرفة عبر الأجيال. كما أن السومريين أسسوا المدن الأولى مثل أور وأوروك، وطوروا نظام الري الذي ساعد في تحسين الزراعة وزيادة الإنتاج الغذائي. بالإضافة إلى ذلك، قدموا إسهامات في مجالات القانون والفلك والرياضيات، حيث وضعوا أسسًا للعديد من المفاهيم التي لا تزال تُستخدم حتى اليوم.

أعظم أربعة آلهة في الحضارة السومرية ونظائرها من الصفات الإلهية الاربعة المذكورة في الفاتحة:

1 .أنو :(Anu) إله السماء وأبو الآلهة في المعتقد السومري.

نظيره من الصفات الإلهية: رب العالمين الأول الخالق – المدبر الأعلى للكون.

2 .إنليل :(Enlil) إله الهواء والعواصف، يُعتبر من كبار الآلهة السومرية.

نظيره من الصفات الإلهية: الرحمن الجبار مجري الرياح، مجري السحاب – الذي يمنح الحياة والنعم للجميع.

3 .إنكي :(Enki) إله الماء والحكمة والخلق، يُعرف بذكائه ومهارته.

نظيره من الصفات الإلهية: الرحيم الحكيم – الحكيم الخالق.

4 .أوتو :(Utu) إله الشمس والعدالة، ينير العالم ويحقق العدالة.

نظيره من الصفات الإلهية: مالك يوم الدين، النور، نور السماوات والأرض – القاضي الأعلى في يوم الحساب.

بقية الآلهة السومرية ونظائرها من الصفات الإلهية:

5 .نانا :(Nanna) إله القمر، يُمثل الزمن والدورات الطبيعية.

نظيره من صفات الله: المُقَدِّر، –المؤقت المدبر لأوقات الليل والنهار.

6 .إنانا :(Inanna) إلهة الحب والجمال والحرب، تُجسد القوة والجاذبية.

نظيرها من صفات الله: الجميل، القوي – مصدر الجمال والقوة.

7 .ننهورساج :(Ninhursag) إلهة الأرض والخصوبة، تُعنى بالخلق والرعاية.

نظيرها من صفات الله: الخالق، الرزاق – مانح الحياة والرزق.

8 .إريشكيجال :(Ereshkigal) إلهة العالم السفلي، تحكم الموتى.

نظيرها من صفات الله: القهار، المميت الباطن – المسيطر على الموت والحياة.

9 .نيرغال :(Nergal) إله الموت والدمار، يُمثل القوة والعقاب.

نظيره من صفات الله: المنتقم، شديد العقاب المُعَذِّب
الباطش – المعاقب للمذنبين.

10 .نوسكا :(Nuska) إله النار والضوء، يُضيء الظلمات.

نظيره من صفات الله: النور – الذي يُنير السماوات والأرض.

11 .نينورتا :(Ninurta) إله الحرب والصيد، يُجسد الشجاعة والقوة.

نظيره من صفات الله: العزيز، القوي – المنتصر في المعارك.

12 .نيدابا :(Nidaba) إلهة الكتابة والمعرفة، تُعنى بالتعليم والحكمة.

نظيرها من صفات الله: العليم ذا الكلمة، ذا الكلمات، ذا الأسماء , ذا السُّبحان , ذا كُن فيكون , ذا الصِّراط المستقيم– الكاتب العالم بكل شيء.[1]

***

[1] المصادر:
ويكيبيديا – الدين السومري
مجمع آلهة السومريين في أساطير وادي الرافدين – مؤمن الوزّان
أراجيك – آلهة السومريين
أنا أصدق العلم – الإلهة إنانا.

2 حضارة الأكديين (2334–2154 ق.م) — وسط وجنوب العراق

نشأت الحضارة الأكدية في قلب وادي الرافدين، وامتدت من وسط العراق إلى جنوبه، لتصبح أول إمبراطورية موحّدة في تاريخ البشرية. أسسها القائد الأسطوري سرجون الأكدي، الذي وحّد المدن السومرية تحت راية واحدة، فازدهرت التجارة، وتطورت الفنون، وظهرت نظم إدارية وزراعية متقدمة.

لقد أسهم الأكديون في تشكيل ملامح الشرق القديم، وتجلّى في حضارتهم صراع الإنسان مع قوى الكون، فسطروا ملحمة رمزية عبر آلهتهم، تعكس فهمهم للصفات العليا التي تحكم هذا الوجود. ومن هنا نقرأ آلهتهم بوصفها رموزًا بشرية للصفات الإلهية الكبرى، والتي تتجلى في الإسلام في الأسماء الأربعة العظمى: رب العالمين، الرحمن، الرحيم، ومالك يوم الدين.

أعظم أربعة آلهة في حضارة الأكديين ونظائرها من الصفات الإلهية:

1. إنليل(Enlil)

إله الهواء والعواصف، والمدبر الأعلى لشؤون الكون، صاحب السلطان والهيبة.

نظيره من الصفات الإلهية: رب العالمين مجري الرياح، مجري السحاب – المُسيّر المدبر الأعلى لشؤون الخلق جميعًا.

2. إيا(Ea)

إله المياه والحكمة، منشئ الحياة، والمصدر الأول للرحمة والمعرفة، يُنقذ البشر ويهديهم.

نظيره من الصفات الإلهية: الرحمن – المنشئ مصدر الرحمة والحكمة، مانح الحياة والهداية.

3. إنانا(Inanna)

إلهة الحب والجمال والقوة، تجمع بين الرقة والجبروت، رمز الجاذبية والنصر.

نظيرها من الصفات الإلهية: الرحيم القوي – الجمال الإلهي المشفوع بالرقة، واللطف النازل بالخلق.

4. مردوخ(Marduk)

إله النظام والانتصار، يقهر قوى الفوضى ويعيد التوازن، صاحب الحكم الأعلى.

نظيره من الصفات الإلهية: مالك يوم الدين – الحاكم العادل في يوم الفصل، المنتصر للحق.

بقية الآلهة الأكديين ونظائرها من الصفات الإلهية:

5. نيرغال(Nergal)

إله الموت والدمار، يرمز للقوة الجارفة والعقوبة القاصمة.

نظيره من الصفات الإلهية: القهار، المميت – المسيطر على الحياة والموت، الذي لا يعجزه شيء.

6. نانا(Nanna)

إله القمر، حارس الزمن والدورات الكونية، يضبط الليل والنهار.

نظيره من الصفات الإلهية: المُقَدِّر – المؤقت الذي يُقدّر الأزمنة والأقدار بحكمة وتوازن.

7 .عشتار(Ishtar)

إلهة الحب والإغواء والحرب، تمثل الجمال المثير والقوة المغوية.

نظيرها من الصفات الإلهية: اللطيف، الجميل – تجلّي الجمال الرباني والرقة الساحرة.

8 .تيامات(Tiamat)

إلهة البحر والفوضى، تمثل الخطر واللا انتظام، أصل التهديد الكوني.

نظيرها من الصفات الإلهية: القهار، المنتقم – الذي يقهر قوى الفوضى، وينتقم للحق والعدل[2].

***

[2] المصادر:
حضارة الأكديين – ويكيبيديا
موسوعة العلوم: الحضارة الأكدية وظهور اللغة
آلهة الأكديين: عرض وتحليل

3 حضارة البابليين (1894–539 ق.م) — العراق

نشأت حضارة البابليين في وسط بلاد الرافدين، في مدينة بابل التي أصبحت لاحقًا من أعظم مدن العالم القديم. امتد حكم البابليين من عام 1894 ق.م حتى سقوط بابل عام 539 ق.م على يد الفُرس. وقد عُرفت هذه الحضارة بإنجازاتها القانونية والعلمية والمعمارية، وبرز منها الملك الشهير حمورابي الذي وضع أول شريعة مكتوبة، والمعروفة بـ"قانون حمورابي."

عكست أساطير البابليين فهمهم العميق لعلاقة الإنسان بالكون، فجاءت آلهتهم مجسدة لقوى الطبيعة والنظام والعدالة والعاطفة، فحين ننظر في ديانات بابل القديمة، نجد أنفسنا أمام مجموعة كبيرة من الآلهة، لكل منها دورها ورمزها وقصتها. لكن، كما هو الحال في حضارات أخرى، فإن هذا التعدد لم يكن بالضرورة إنكارًا لفكرة الإله الواحد، بل كان غالبًا تجزيئًا رمزيًا لصفاته، وتجليات مختلفة لأوجه قدرته وحكمته ورحمته.

فـ"مردوخ" لم يكن إلا مظهرًا للقوة والسيطرة، و"إنانا" كانت تجسد الرزق والحب والخصب، و"نابو" رمزًا للحكمة والعلم، و"شمش" نور العدل والإشراق، و"إيا" عين الرحمة والرعاية. كل إله كان يرمز لصفة، لكن الصفات كلّها في الأصل تعود إلى الإله الواحد، المتفرّد في ذاته وأفعاله. هذه محاولة لفهم

آلهة بابل بوصفها رموزًا لصفات الله، مثلما وردت في الوحي الإلهي، وفي مقدمتها سورة الفاتحة، التي لخصت مقامات الربوبية والرحمانية والرحيمية والمالكية.

أعظم أربعة آلهة في حضارة البابليين ونظائرها من الصفات الإلهية:

1. أنو(Anu)

إله السماء الأعلى، سيد الآلهة، ومصدر السلطة والحكم.

نظيره من الصفات الإلهية: رب العالمين – السيد الأعلى والخالق المدبر.

2. إنكي / (Enki) إيا(Ea)

إله الحكمة والمياه والخلق، المعروف بالرحمة والمساعدة للإنسان.

نظيره من الصفات الإلهية: الرحمن – المنعم بالحكمة والمُفيض للحياة.

3. عشتار(Ishtar)

إلهة الحب والجمال والحرب، تجمع بين العاطفة والقوة، سيدة الجاذبية.

نظيرها من الصفات الإلهية: الرحيم – مظهر الجمال الإلهي والرحمة الغامرة.

4. شمش(Shamash)

إله الشمس والعدل، الحاكم النزيه والقاضي بين الناس.

نظيره من الصفات الإلهية: مالك يوم الدين – النور , العدل المطلق، والفصل بين الخلق بالحق.

بقية الآلهة البابليين ونظائرها من الصفات الإلهية:

5. مردوخ(Marduk)

إله بابل الرئيسي، بطل النظام والمنتصر على تيامات، رمز القوة والنظام.

نظيره من الصفات الإلهية: العزيز، القوي – الذي يُقيم النظام ويقهر الفوضى.

6 .تيامات(Tiamat)

إلهة البحر والفوضى، تمثل الفوضى البدائية والشر الكوني.

نظيرها من الصفات الإلهية: القهار، المنتقم – القوي الذي يسحق الفوضى ويقيم العدل.

7 .نينورتا(Ninurta)

إله الحرب والزراعة، يجمع بين القتال والرعاية.

نظيره من الصفات الإلهية: الجبار، الرزاق , الباطش– الذي يجمع بين القوة والإعطاء.

8 .نابو(Nabu)

إله الكتابة والحكمة، حارس العلم والتوثيق.

نظيره من الصفات الإلهية: العليم – الكاتب ذا الرؤيا , العالم بكل شيء، حافظ العلم والقدر[3].

***

[3] المصادر:
حضارة بابل – ويكيبيديا
أساطير بابلية – موسوعة التاريخ القديم
قانون حمورابي ونظام الآلهة في بابل – مركز بحوث الحضارات القديمة

4 حضارة الآشوريين (2500–609 ق.م) — شمال العراق

نشأت حضارة الآشوريين في شمال بلاد الرافدين، وتحديدًا في مدينة آشور الواقعة على ضفاف نهر دجلة. وبلغت ذروتها في الفترة الإمبراطورية بين القرنين التاسع والسابع قبل الميلاد. عُرف الآشوريون بقوة جيشهم، وبتنظيمهم الإداري والعسكري، وبإبداعاتهم المعمارية والنحتية، خصوصًا في مدينة نينوى، عاصمة الإمبراطورية الآشورية الأخيرة.

امتازت ديانتهم بتعدد الآلهة، حيث تجلّت الآلهة في شكل رمزي لقوى الطبيعة والسلطة والعدالة والمعرفة. ويمكن من خلال قراءة توحيدية لهذه الرموز، تأمل انعكاس الصفات الإلهية الكبرى فيها: رب العالمين، الرحمن، الرحيم، ومالك يوم الدين.

أعظم أربعة آلهة في حضارة الآشوريين ونظائرها من الصفات الإلهية:

1 .آشور(Ashur)

الإله الأعلى وراعي المملكة الآشورية، يمثّل السيادة والسلطة العليا، ويُعبد كإله الحرب والنظام الكوني.

نظيره من الصفات الإلهية: رب العالمين – المدبّر الأعلى، صاحب السلطان الكوني المطلق.

2 .نينورتا(Ninurta)

إله الحرب والصيد والزراعة، رمز القوة والانتصار والتنظيم.

نظيره من الصفات الإلهية: الرحمن – الذي يُفيض النعم ويحمي عباده بقوته.

3 .عشتار(Ishtar)

إلهة الحب والحرب، تمثل العاطفة والجمال والبطولة في آنٍ واحد.

نظيرها من الصفات الإلهية: الرحيم – المتجلّي في الجمال الإلهي والعطف الإنساني.

4 .شمش(Shamash)

إله الشمس والعدالة، يُمثل النور، القانون، والحقيقة.

نظيره من الصفات الإلهية: مالك يوم الدين – النور، نور السماوات والأرض , الذي يحكم بالعدل ويكشف الحقائق.

<u>بقية الآلهة الآشوريين ونظائرها من الصفات الإلهية:</u>

5 .أدد(Adad)

إله العواصف والمطر، يتحكم بقوى الطبيعة ويجلب الخصب.

نظيره من الصفات الإلهية: الرزاق، القوي – المتحكم بالخيرات وقوى الأرض.

6 .نابو(Nabu)

إله الحكمة والكتابة، حافظ المعرفة وسجلات الأقدار.

نظيره من الصفات الإلهية: العليم، الحكيم – العالم بكل شيء، حافظ العلم والقدر.

7 .سين(Sin)

إله القمر، يُمثّل الزمن والإيقاع الكوني والتقويم.

نظيره من الصفات الإلهية: المُقَدِّر – الدهر , المؤقت الذي يُجري الأزمان بحكمة ويُدبّر الأقدار.

8 .تيامات(Tiamat)

رغم ارتباطها بالسومريين والبابليين أيضًا، فقد استمرت رموزها عند الآشوريين كتمثيل للفوضى البدائية.

نظيرها من الصفات الإلهية: القهار – المنتقم , الباطش, الذي يُخضع الفوضى وينشر النظام[4].

***

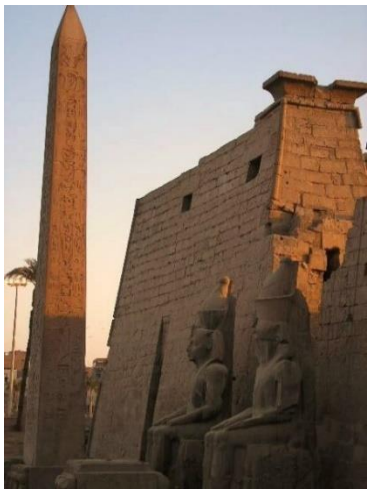

5 حضارة الكنعانيين (3000–1200 ق.م) — الشام

تُعد حضارة الكنعانيين من أقدم وأعرق الحضارات في منطقة بلاد الشام، وقد نشأت على الساحل الشرقي للبحر الأبيض المتوسط، وامتدت إلى أجزاء من فلسطين ولبنان وسوريا. اشتهر الكنعانيون بتجارتهم البحرية، وفنونهم المعمارية، ونظامهم الكتابي الأبجدي الذي أثّر في الأبجديات اللاحقة. وقد أسّسوا مدنًا مزدهرة مثل صور وصيدا وأوغاريت.

كانت ديانة الكنعانيين متعددة الآلهة، وكانت آلهتهم تمثل قوى الطبيعة والعواطف الإنسانية. ورغم طابعها الأسطوري، فإنها تجسد رموزًا معنوية يمكن مقاربتها من منظور توحيدي، فتعكس صفات إلهية مثل رب العالمين، الرحمن، الرحيم، ومالك يوم الدين. وغيرها.

---

[4] المصادر:
حضارة الآشوريين – ويكيبيديا
أساطير آشورية – موسوعة التاريخ القديم
النحت الآشوري ومعابد نينوى – مركز الدراسات المشرقية

أعظم أربعة آلهة في حضارة الكنعانيين ونظائرها من الصفات الإلهية:

1. إيل(El)

الإله الأعلى في الميثولوجيا الكنعانية، يُعتبر خالق الكون وأب الآلهة.

نظيره من الصفات الإلهية: رب العالمين – السيد المطلق والخالق المدبّر.

2. بعل(Baal)

إله المطر والعواصف والخصوبة، ويُعبد كمنقذ يجلب الحياة ويهزم الجفاف.

نظيره من الصفات الإلهية: الرحمن – الذي ينزل الغيث ويرزق الأرض والنبات.

3. عشيرة(Asherah)

إلهة الأمومة والخصب، تُجسّد الحنان والرعاية.

نظيرها من الصفات الإلهية: الرحيم – الحنّان المنّان، راعي الخلق.

4. شمش(Shapash)

إلهة الشمس والنور، تكشف الظلمة وتضيء العالم.

نظيرها من الصفات الإلهية: مالك يوم الدين – النور والذي يكشف الحقائق ويُجري الحكم بنوره.

بقية الآلهة الكنعانيين ونظائرها من الصفات الإلهية:

5. يم(Yam)

إله البحر، يُمثل الفوضى والعنف الكوني.

نظيره من الصفات الإلهية: القهار، المنتقم – الذي يقهر الفوضى ويضبط الكون.

6. عناة(Anat)

إلهة الحرب والعذراء القوية، رمز للشجاعة والدفاع عن الحق.

نظيرها من الصفات الإلهية: العزيز، الجبار – القوية التي تحمي وتنصر.

7 .موت(Mot)

إله الموت والجفاف، يرمز إلى النهاية والفناء.

نظيره من الصفات الإلهية: المميت، القدير – الذي بيده الحياة والموت.

8 .كوثر وحسيس(Kothar-wa-Khasis)

إله الحِرَف والصناعة، مهندس الآلهة وصانع الأسلحة.

نظيره من الصفات الإلهية: الخالق، البديع – المبدع في خلقه وصنعه[5].

***

[5] المصادر:
حضارة الكنعانيين – ويكيبيديا
ديانة كنعان – موسوعة التاريخ القديم
أساطير أوغاريت والنقوش الفينيقية – مركز بحوث اللغات السامية

6 حضارة الفينيقيين (1200–539 ق.م) — سواحل لبنان وسوريا

ازدهرت حضارة الفينيقيين على السواحل الشرقية للبحر الأبيض المتوسط، خاصة في مناطق صور وصيدا وجبيل في لبنان وسواحل سوريا. وقد عُرف الفينيقيون بكونهم أعظم بحّارة وتجار في العصور القديمة، وكانوا روّادًا في نشر الأبجدية، التي أصبحت أساسًا للعديد من أنظمة الكتابة اللاحقة في العالم القديم.

تميّزت ديانتهم بتعدد الآلهة، التي جسّدت قوى الطبيعة والأنشطة البشرية. لكن من خلال قراءة توحيدية، يمكن أن نرى في رموز هذه الآلهة تجليات لمعانٍ عليا وصفات إلهية، منها: رب العالمين، الرحمن، الرحيم، ومالك يوم الدين.

أعظم أربعة آلهة في حضارة الفينيقيين ونظائرها من الصفات الإلهية:

1. إيل(El)

الإله الأعلى لدى الفينيقيين، يُمثّل الأب الخالق والحاكم الأعلى للكون.

نظيره من الصفات الإلهية: رب العالمين – الخالق المدبّر، عظيم الشأن.

2 .بعل(Baal)

إله العواصف والخصوبة والمطر، راعي الحياة والنماء.

نظيره من الصفات الإلهية: الرحمن – الذي يُغيث العباد ويُفيض عليهم من نعمه.

3 .عشتروت(Astarte)

إلهة الحب والخصب والحرب، تمثّل القوة الأنثوية الساحرة والحامية.

نظيرها من الصفات الإلهية: الرحيم – الحنّان الجميل، المُفيض للعطف والرعاية.

4 .شمش(Shamash / Shapash)

إلهة الشمس والعدالة، التي تُنير وتكشف وتُراقب الأفعال.

نظيرها من الصفات الإلهية: مالك يوم الدين – النور. والذي يحكم بالعدل ويكشف الحق.

<u>بقية الآلهة الفينيقيين ونظائرها من الصفات الإلهية:</u>

5 .ملكارت(Melqart)

إله مدينة صور، يجمع بين الألوهية والبطولة، ويُعتبر راعي المستعمرات.

نظيره من الصفات الإلهية: العزيز، الشهيد – القوي الحامي، الشاهد على الجهاد والعمل.

6 .تانيت(Tanit)

إلهة السماء والحياة، وراعية الأمهات، انتشرت عبادتها خاصة في قرطاج.

نظيرها من الصفات الإلهية: اللطيف، الحفيظ – الرفيق الحامي للحياة.

7 .يم(Yam)

إله البحر، يُمثل الخطر والفوضى، وغالبًا ما يُهزم من قبل بعل.

نظيره من الصفات الإلهية: القهار، الجبار – الذي يُخضع القوى الهائجة ويُعيد النظام.

8 .كوثر(Kothar)

إله المهارة والصناعة، صانع الأسلحة والقصور، رمز الحِرف والإبداع.

نظيره من الصفات الإلهية: البديع، الخالق – الذي أبدع الخلق بإتقان وجمال[6].

***

7 حضارة الحثيين (1600–1178 ق.م) — الأناضول

نشأت حضارة الحثيين في منطقة الأناضول (تركيا الحالية)، وكانت من أعظم القوى السياسية والعسكرية في الشرق الأدنى خلال العصر البرونزي المتأخر. امتد نفوذهم حتى شمال الشام وشرق المتوسط، وقد تميزوا بنظامهم القانوني والإداري، وبعلاقاتهم الدولية الواسعة، من أشهرها معاهدة قادش مع مصر.

عبَد الحثيون عددًا من الآلهة التي تمثل قوى الطبيعة والمجتمع، وقد استعاروا بعض آلهتهم من الحوريين والسومريين، مما أعطى ديانتهم طابعًا غنيًا ومتنوعًا. ومن خلال عدسة توحيدية، يمكن فهم هذه الآلهة كرموز لصفات إلهية عليا، تتجلى في: رب العالمين، الرحمن، الرحيم، ومالك يوم الدين.

<u>أعظم أربعة آلهة في حضارة الحثيين ونظائرها من الصفات الإلهية:</u>

---

[6] المصادر:
حضارة الفينيقيين – ويكيبيديا
ديانة الفينيقيين وأساطيرهم – الموسوعة البريطانية
الكتابات الفينيقية والأوغاريتية – مركز دراسات الحضارات الشرقية

1. تيشوب(Teshub)

إله العواصف والسماء، يُعد السيّد الأعلى للكون، والمتسلط على الرعد والمطر والنظام الكوني.

نظيره من الصفات الإلهية: رب العالمين – المدبّر الأعلى، المسيطر على الكون وقواه.

2. هبة(Hepat)

إلهة الأمومة والسماء، تُجسّد الحنان والرعاية، وتُعبد كزوجة لتيشوب.

نظيرها من الصفات الإلهية: الرحمن – الرؤوف الذي يغمر خلقه بعطفه وعنايته.

3. إينارا(Inara)

إلهة الصيد والحماية، ذات حكمة وقوة، كانت تتدخل لإنقاذ المظلومين ودحر قوى الشر.

نظيرها من الصفات الإلهية: الرحيم – الذي يحمي ويهدي، ويحنو على الضعفاء.

4. شيميج(Shimige)

إله الشمس والعدالة، يُراقب أفعال البشر ويجلب النور والحق.

نظيره من الصفات الإلهية: مالك يوم الدين – والنور. والحاكم العادل الذي يكشف الحق ويُجري الجزاء.

<u>بقية الآلهة الحثيين ونظائرها من الصفات الإلهية:</u>

5. كوماربي(Kumarbi)

إله الخلق والآباء، يُعد رمزًا للخصوبة والنسل، وقد خُص بأدوار أسطورية كبرى.

نظيره من الصفات الإلهية: الخالق، الودود – رب العالمين الذي يهب الحياة وينشئ الخلق.

6. زاليوا(Zalewa)

إله المطر والأنهار، يرمز إلى الخصب والماء والعطاء الطبيعي.

نظيره من الصفات الإلهية: الرحمن – المغيث الذي يُنزل الغيث ويُحيي الأرض بعد موتها.

7 .إشخارا(Ishkhara)

إلهة الطب والشفاء، كانت تُستدعى لرفع الأوبئة والأمراض.

نظيرها من الصفات الإلهية: الرحيم – الشافي الحكيم الذي يُداوي بلطفه.

8 .أرينا(Arinna)

إلهة الشمس والضوء، ذات دور قضائي وروحي، وتُعد من الآلهة المقدسة.

نظيرها من الصفات الإلهية: مالك يوم الدين – النور الكاشف والحاكم بين الخلق بالحق[7].

***

8 حضارة الآراميين (1100–700 ق.م) — سوريا

[7] المصادر:
حضارة الحثيين – ويكيبيديا
الميثولوجيا الحثية – موسوعة التاريخ القديم
النقوش الحثية والوثائق الملكية – معهد دراسات الشرق الأدنى

الآراميون هم إحدى الشعوب السامية التي استقرت في مناطق سوريا والجزيرة الفراتية، منذ القرن الحادي عشر قبل الميلاد. وقد أسسوا ممالك متعددة مثل آرام دمشق وآرام صوبة، ولعبوا دورًا مهمًا في الحياة السياسية والثقافية في بلاد الشام. تميزوا بلغتهم الآرامية التي أصبحت لاحقًا لغة دولية في الشرق القديم، واستخدمها أنبياء بني إسرائيل وحتى السيد المسيح عليه السلام.

تأثرت ديانة الآراميين بالكنعانيين والساميين الأوائل، فعبَدوا عددًا من الآلهة التي ترمز لقوى الطبيعة والكون، وهي في جوهرها رموز يمكن فهمها كتجليات للصفات الإلهية العليا: رب العالمين، الرحمن، الرحيم، مالك يوم الدين.

أعظم أربعة آلهة في حضارة الآراميين ونظائرها من الصفات الإلهية:

1. إيل(El)

الإله الأعلى في بعض الممالك الآرامية، يُعتبر أصل الخليقة ومصدر الحياة، وخالق السماء والأرض.

نظيره من الصفات الإلهية: رب العالمين – الخالق المدبر لأمر السماوات والأرض.

2. عشتار(Ishtar / Astarte)

إلهة الحب والخصب والحياة، مرتبطة بالقمر والمياه والولادة.

نظيرها من الصفات الإلهية: الرحمن – الذي يفيض بالرحمة والحياة والعطاء.

3. رشف(Resheph)

إله الشفاء والحماية من الأوبئة، وله جانب ناري مرتبط بالقوة والنور.

نظيره من الصفات الإلهية: الرحيم – الشافي المعافي الذي يداوي ويرأف بعباده ويكشف الضر عنهم.

4. شمس(Shamash)

إله الشمس والعدالة والحق، يُراقب أعمال البشر ويحكم بينهم.

نظيره من الصفات الإلهية: مالك يوم الدين – والنور والذي يحكم بالعدل ويحاسب بالحق.

بقية الآلهة الآراميين ونظائرها من الصفات الإلهية.

5 .هدهد(Hudhud)

إله الطيران والرسائل، يُعتقد أنه كان رسولًا بين الآلهة، ويُجسّد الحكمة والحركة بين العوالم.

نظيره من الصفات الإلهية: السميع العليم، الخبير – الذي يعلم ما في السماوات والأرض ويبلغ أوامره بحكمة.

6 .نقال(Nikkal)

إلهة القمر والنبات، مرتبطة بالخصوبة والهدوء والدورات الطبيعية.

نظيرها من الصفات الإلهية: الرحمن المسيّر – المنظّم للدورات، والمفيض للرزق والسكينة.

7 .عتير(Attar)

إله النور والصباح، وله طابع مزدوج بين الذكر والأنثى، يرمز للتجدد.

نظيره من الصفات الإلهية: الرحيم – نور السماوات والأرض النور الذي يجدد الحياة ويبعث النور بعد الظلمة.

8 .موت(Mot)

إله الموت والجفاف، يُمثل النهاية والحساب في الأساطير الكنعانية والآرامية.

نظيره من الصفات الإلهية: مالك يوم الدين المميت – الذي بيده الحياة والموت، ويملك المصير[8].

***

[8] المصادر:
حضارة الآراميين – ويكيبيديا
النصوص الدينية الآرامية – موسوعة التاريخ القديم
دراسات في الأديان السامية – المعهد الشرقي للغات

9 حضارة السامريين (القرن 10 ق.م–القرن 7 م) — فلسطين

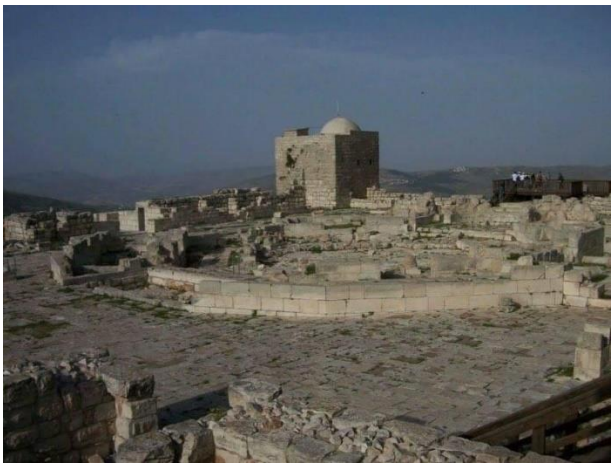

السامريون هم فرع من بني إسرائيل استوطنوا منطقة السامرة شمال فلسطين، بعد انقسام مملكة إسرائيل الموحدة إلى مملكتي إسرائيل ويهوذا. ولهم ديانة خاصة مشتقة من التوراة القديمة، ويقدّسون جبل جرزيم كمكان مقدّس بدلًا من القدس. حافظ السامريون على تقاليدهم الخاصة، وقدّموا صورة فريدة من التوحيد تأثرت أحيانًا بالمجتمعات الكنعانية المجاورة.

في فترات من تاريخهم، وخصوصًا بعد السبي الآشوري، تأثر بعضهم بالعبادات المحلية، فنشأت رموز دينية متأثرة بالأساطير والآلهة الكنعانية، لكنها لم تكن في جوهرها شركية محضة، بل تجليات رمزية لقوى كونية، يمكن فهمها كتعبيرات عن الصفات الإلهية العليا.

أعظم أربعة رموز أو آلهة في حضارة السامريين ونظائرها من الصفات الإلهية:

1. إيل(El)

الإله الأعلى في الفكر الكنعاني والسامري القديم، خالق السماوات والأرض، مصدر الحياة والنظام الكوني.

نظيره من الصفات الإلهية: رب العالمين – الخالق المدبّر لجميع الكائنات.

2. عشيرة(Asherah)

رمز الأم الكبرى، إلهة الخصب والنماء، مرتبطة بالشجر والماء والأنوثة المقدسة.

نظيرها من الصفات الإلهية: الرحمن – الذي يفيض بالحياة ويغمر العالم بعطفه.

3 .شافا(Shapha)

رمز الشفاء واللطف والرحمة، تظهر في بعض النصوص كقوة تنقذ من الألم وتمنح العزاء.

نظيرها من الصفات الإلهية: الرحيم – الشافي الذي يداوي الجراح ويعتني بالمحتاجين.

4 .شاماش(Shamash)

إله النور والحق والعدل، يُمثل عين السماء الساهرة على أعمال البشر.

نظيره من الصفات الإلهية: مالك يوم الدين – والنور . و الذي يحكم بالعدل ويحاسب بحكمة.

<u>بقية الرموز أو الآلهة السامرية ونظائرها من الصفات الإلهية:</u>

5 .هدهد(Hudhud)

رمز الطير الواصل بين الأرض والسماء، يُجسّد الحكمة والبلاغ الإلهي.

نظيره من الصفات الإلهية: العليم، الخبير – الذي يعلم السر والنجوى ويهدي الخلق إلى الحق.

6 .عنات(Anat)

إلهة الحرب والقوة والحماية، تظهر كمدافعة عن الحق ومحرّكة للثورة على الظلم.

نظيرها من الصفات الإلهية: القوي، العزيز – الذي ينصر المظلومين ويُعلي كلمة العدل.

7 .يم(Yam)

رمز البحر والقوى الجامحة، يمثل الفوضى التي تخضع للسيطرة الإلهية.

نظيره من الصفات الإلهية: القهار – الذي يُخضع العوالم لسلطانه ويكبح قوى الطغيان.

8 .موت(Mot)

رمز الموت والغياب، يمثل نهاية الحياة وحلول الحساب.

نظيره من الصفات الإلهية: مالك يوم الدين – الذي بيده المصير الأخير للخلق أجمعين[9].

***

خلاصة:

في الفصل الأول رأينا محاولة الإنسان نحو اكتشاف الإله الواحد. في أقدم بقاع الأرض عمرانًا، حيث نشأت حضارات الرافدين والشام والأناضول، بدأ الإنسان أوّل رحلته نحو معرفة الإله. كانت السماء ممتلئة بالأسئلة، والأرض حبلى بالمحاولات، والعقل البشري في بداياته لم يكن قادرًا على إدراك الكليّات ولا استيعاب الواحد الأحد، فراح يُقسّم عظمة الإله إلى آلهة متعدّدة، ينسب لكل منها صفة من صفاته.

فرأينا في هذه الحضارات القديمة ـــ السومرية، الأكدية، البابلية، الآشورية، الكنعانية، الفينيقية، الحثية، الآرامية، السامرية ـــ تصورات لآلهة متعددة تمثل مجالات متفرقة: إله الخلق، إله الرحمة، إله الحرب، إله العدل، إله المطر، إله الشمس... ولكنها، في حقيقتها، لم تكن إلا محاولات عقلية لتجسيد صفات الإله الواحد على انها الهة متعدد منفصلة مستقلة عن بعضها. وما ضلّ الإنسان إلا حين فصل بين الصفات، وعبد الأثر دون خالق الأثر.

ولم يترك الله خلقه سدى، بل أرسل إليهم الرسل من حين إلى آخر، يعيدون صياغة المفاهيم، ويهدمون الشرك، ويوصلون الإنسان بربّه الواحد الذي خلقه، لا الذي صوّره بخياله.

ففي أرض السومريين والأكديين (جنوب ووسط العراق)، بُعث إبراهيم عليه السلام في مدينة "أور"، مجابهًا عبادة النجوم والأصنام، موجهًا الناس إلى "فاطر السماوات والأرض."

وفي تلك الأرض كذلك، ذُكر أن إدريس عليه السلام كان من أوائل من علموا الناس الكتابة والعلوم، في العصور الأولى من الوعي الإنساني.

---

[9] المصادر:
السامريون – الموسوعة اليهودية
الديانة السامرية – دائرة المعارف البريطانية
الأساطير الكنعانية وتأثيرها في الديانة السامرية – مجلة دراسات الشرق القديم

وفي أرض البابليين والآشوريين (العراق شمالًا وجنوبًا)، ظهرت دعوة يونس عليه السلام إلى أهل نينوى، حين عمّ الفساد وبلغت الوثنية أشدّها، فدعاهم إلى التوبة والرجوع إلى الله الواحد. أما في أرض الكنعانيين والآراميين والفينيقيين (الشام وسواحل لبنان وسوريا)، فقد بعث الله لوطًا عليه السلام وشعيبًا عليه السلام في مجتمعات ضلّت عن الصراط المستقيم، فدعوهم إلى التوحيد والإصلاح.

وفي أرض فلسطين، بين السامريين وبقايا بني إسرائيل، بعث الله أنبياء كُثُر، من موسى وداود وسليمان إلى زكريا ويحيى وعيسى عليهم السلام، يعيدون تصحيح مسار أمة كانت على عهد طويل بالرسل، لكنها انحرفت مرارًا.

وهكذا كانت مسيرة الإنسان في الشرق الأدنى القديم، صراعًا بين فطرة التوحيد وتخيّلات الوثنية، بين العقل المحدود والوحي المنزَّل، وبين الآلهة المصنوعة، والله الواحد، الذي لا شريك له، الكامل الجامع لكل الصفات.

***

الفصل الثاني: حضارات وادي النيل

10 الحضارة المصرية القديمة (3100–332 ق.م) — مصر والسودان

نشأت الحضارة المصرية القديمة على ضفاف نهر النيل، وكانت من أعظم حضارات العالم القديم في العلم والفن والسياسة والدين. وقد كان الدين جزءًا لا يتجزأ من الحياة اليومية للمصريين القدماء، حيث عبدوا آلهة متعددة، كل واحدة منها تمثّل جانبًا من جوانب الوجود أو صفة من صفات الإله الواحد. ومع أن هذه الآلهة تبدو في ظاهرها متعددة، إلا أن التدبر في معانيها يكشف أنها ليست إلا تجزئة لصفات الإله الواحد، الذي عجز الإنسان عن تصوره الكامل، فعبّره بصور رمزية مجزأة.

أعظم أربعة آلهة في الحضارة المصرية القديمة ونظائرها من الصفات الإلهية:

1 .آمون

إله الكون والخَلق، يمثل القوة الخفية العظمى التي تدير العالم وتخلقه من العدم.

نظيره من الصفات الإلهية: رب العالمين – الخالق المدبّر لكل شيء في الوجود.

2 .رع

إله الشمس والنور، يمنح الدفء والحياة، ويُعتبر مصدر النماء والبصيرة.

نظيره من الصفات الإلهية: الرحمن – الذي تنبثق منه الحياة، والنور، والرزق.

3 .إيزيس

إلهة الحنان والحماية والشفاء، رمز الأمومة والحب والتضحية.

نظيرها من الصفات الإلهية: الرحيم – الرحيم بخلقه، الحافظ لهم، العطوف عليهم.

4 .أوزيريس

إله الموت والبعث والحساب، يحكم في الآخرة ويُقرر مصير الأرواح.

نظيره من الصفات الإلهية: مالك يوم الدين –والباعث الحاكم العادل يوم القيامة، جازِي الأعمال.

<u>بقية الآلهة المصرية ونظائرها من الصفات الإلهية:</u>

5 .حتحور

إلهة الموسيقى والجمال والحب، تمثل البهجة والسرور.

نظيرها من الصفات الإلهية: الجميل، الودود الحكيم، – مصدر الجمال والمحبة.

6 .أنوبيس

إله التحنيط والموتى، يرافق الأرواح ويحميها في انتقالها للعالم الآخر.

نظيره من الصفات الإلهية: القهار، المميت – الذي بيده مصير الأرواح ومآلها.

7 .تحوت

إله الحكمة والمعرفة والكتابة، يزن الأعمال ويسجلها.

نظيره من الصفات الإلهية: العليم الحكيم، الخبير الكاتب – العالم بخفايا الأمور وكاتبها.

8 .ماعت

إلهة النظام والحق والعدل، تحكم بتوازن العالم واستقامته.

نظيرها من الصفات الإلهية: العدل، الحق – المقيّم للعدل في الكون، مانح التوازن[10].

***

[10] المصادر:

سليم حسن، تاريخ مصر القديمة، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

جيمس هنري برستد، فجر الضمير، ترجمة: محمد بدران، دار المعارف.

إيريك هورننغ، آلهة مصر القديمة، ترجمة: أحمد صالح، المجلس الأعلى للثقافة.

Wikipedia (النسخة العربية والإنجليزية: Ancient Egyptian Religion / Egyptian Mythology)

موسوعة بريتانيكا: Britannica.com – Ancient Egypt

موسوعة الحضارات القديمة – الجزء الخاص بالحضارة المصرية.

11 حضارة النوبة وكوش (2500–300 ق.م) — السودان

نشأت حضارة النوبة في جنوب مصر وشمال السودان، وبلغت ذروتها في مملكة كوش التي امتدت من نبتة إلى مروي. وقد امتازت بتأثيرها المتبادل مع الحضارة المصرية القديمة، خاصة في المجالين الديني والسياسي. لكن الكوشيين طوّروا نظامًا دينيًا خاصًا، جمع بين رموز محلية وآلهة مصرية مع إعادة تأويلها برؤية نوبية. يظهر من خلال ديانتهم أن الإنسان النوبي حاول فهم الإله عبر صفاته، فجسّد كل صفة في إله مستقل، ما يعكس سعيًا فطريًا نحو إدراك الإله الواحد، وإن ضلّ السبيل إليه. وقد بعث الله في مثل هذه الشعوب من ينذرهم ويوجههم للتوحيد الخالص.

أعظم أربعة آلهة في حضارة النوبة وكوش ونظائرها من الصفات الإلهية:

1 .آمون رع – إله الخلق والنور والكون، يُعبد في نبتة كالإله الأعظم

نظيره من الصفات الإلهية: رب العالمين – الخالق المدبر المتفرد بالملك والسلطان.

2 .سبك – إله النيل والمياه والخصب، يرمز إلى الحماية والبركة

نظيره من الصفات الإلهية: الرحمن – المنعم بالسقيا والحياة، واسع الرحمة.

3 .إيسيت (إيزيس) – إلهة الحنان والأمومة والحماية

نظيرها من الصفات الإلهية: الرحيم – الحنون، الحافظة، المؤنسة لعباده.

4 .أوزير (أوسير) – إله البعث والحساب والموت، حاكم العالم الآخر

نظيره من الصفات الإلهية: مالك يوم الدين – الحكم في المصير، الباعث من القبور.

بقية الآلهة الكوشية ونظائرها من الصفات الإلهية:

5 .أباداماك – إله الحرب النوبي، ذو رأس أسد

نظيره من الصفات الإلهية: العزيز، القهار – شديد البطش، غالب الجبابرة.

6 .موت – إلهة السماء والأمومة، مرتبطة بالعظمة الملكية

نظيرها من الصفات الإلهية: المتعالي، الكبير – جلال العظمة وسُمو المقام.

7 .خنوم – إله الخلق، يصنع الإنسان من طين

نظيره من الصفات الإلهية: الخالق، البديع – مصور الإنسان في أحسن تقويم.

8 .أنوبيس (أُنوب) – إله الموت والتحنيط، يرشد الأرواح

نظيره من الصفات الإلهية: المميت، الرقيب – الحاضر عند الموت، المحصي للأنفاس[11].

---

[11] المصادر:

ديريك أي ويلسبي، كوش: مملكة النوبة القديمة

سليم حسن، تاريخ السودان القديم

موسوعة الحضارات القديمة – قسم النوبة وكوش

موسوعة ويكيبيديا Nubian Religion :

موسوعة بريتانيكا: Kingdom of Kush

***

خلاصة:

في حضارات وادي النيل، حيث تدفقت الحياة من النهر العظيم، برزت محاولات الإنسان الأولى لفهم الإله، عبر رموز وأساطير تجسّد صفاته. ففي مصر وكوش، لم يكن التعدد الإلهي سوى انعكاس لعجز العقل البشري عن الإحاطة بجلال الواحد الأحد، فصوّر كل صفة من صفاته في هيئة إله مستقل.

آمون رع لم يكن سوى رمز لرب العالمين، وإيزيس تجلٍّ لرحمته، وأوزير صورة من صور حسابه وعدله. وفي كوش، امتزجت عبادة الماء والنور والموت في رموز تعكس توقًا داخليًا لمعرفة الإله الحق. لكن هذا التعدد لم يكن إلا زيفًا، جاء الأنبياء ليكشفوه، فدعوا الناس إلى التوحيد، وأخبروهم أن ما عبدوه متفرقًا إنما هو لله وحده، لا شريك له.

هكذا، تكشف حضارات النيل عن صفحة من تاريخ البشرية، تاهت فيها العقول في الرموز، حتى جاء الوحي ليهديها إلى النور.

***

الفصل الثالث: الحضارات الفارسية والزردشتية

12 حضارة العيلاميين (2700–539 ق.م) — جنوب غرب إيران

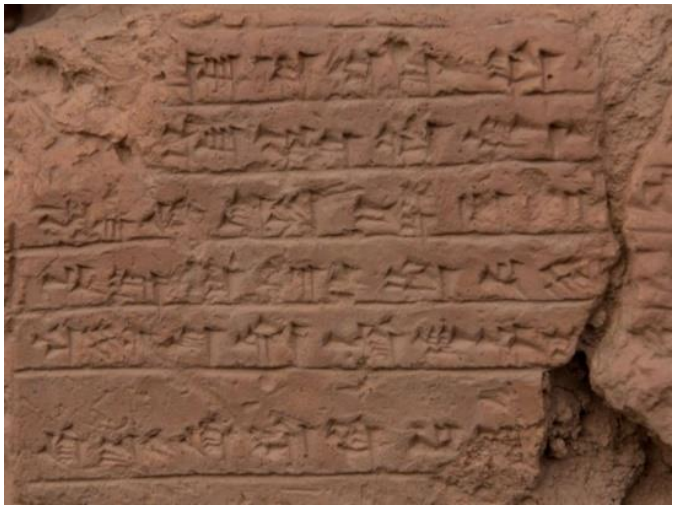

امتدت حضارة العيلاميين في منطقة خوزستان (جنوب غرب إيران حاليًا)، واعتُبرت من أقدم حضارات إيران. اشتهر العيلاميون بعلاقاتهم التجارية والدينية مع حضارات ما بين النهرين، وبنوا معابد كبيرة، وكان لهم نظام ديني يعتمد على عبادة قوى الطبيعة ممثلة بآلهة متعددة. ومع ذلك، فإن رمزية هذه الآلهة تعبّر عن صفات إلهية كبرى في صورة مجزأة.

أعظم أربعة آلهة في حضارة العيلاميين ونظائرها من الصفات الإلهية:

1 .خومبان – (Khumban) الإله الأعلى لدى العيلاميين، إله السماء ورب الكون.

نظيره من الصفات الإلهية: رب العالمين – خالق الكون ومدبره، العلي العظيم.

2 .كيش – (Kiš) إلهة الأرض والخصوبة، تمثل العطاء والطبيعة.

نظيرها من الصفات الإلهية: الرحمن – الذي تتجلى رحمته في إنزال المطر وإخراج النبات، وعطائه المستمر للأرض والخلق.

3 .مانزات – (Manzat) إلهة القمر والحب والرحمة، ترمز إلى الرقة والرفق والنور الداخلي.

نظيرها من الصفات الإلهية: الرحيم – الذي تتنزل رحمته على القلوب بنور الهداية والمغفرة.

4 .إيشمي كَراب – (Ishmekarab) إله العدالة والقانون والحساب.

نظيره من الصفات الإلهية: مالك يوم الدين – الذي يحاسب بالعدل ويقيم الميزان.

<u>بقية الآلهة في حضارة العيلاميين ونظائرها من الصفات الإلهية:</u>

1 .إينشوشيناك – (Inshushinak) إله مدينة شوشان، حارس الأموات، ومرتبط بالحياة الأخرى.

نظيره من الصفات الإلهية: المحيي المميت – مالك يوم الدين, بيده الحياة والمصير بعد الموت.

2 .لاجَمار – (Lagamr) إله الحرب والقوة والانتصار.

نظيره من الصفات الإلهية: العزيز الناصر – القوي الغالب القهار.

3 .نابو – (Nabu) إله الحكمة والكتابة، مرتبط بالمعرفة والإلهام.

نظيره من الصفات الإلهية: اللطيف الحكيم – الذي يُظهر آياته برفق ووحي وهداية[12].

***

[12]مصادر:
موسوعة تاريخ إيران القديم
الموسوعة البريطانيةElam Civilization –
كتاب الشرق الأدنى القديم – جامعة كامبردج
دراسات في الأساطير العيلامية – المجلة الإيرانية للآثار والتاريخ

13 الإمبراطورية الميدية (678–549 ق.م) — شمال إيران

تُعد الإمبراطورية الميدية من أوائل الكيانات السياسية الفارسية التي ظهرت في شمال إيران، وقد كان لها أثر كبير في التمهيد لظهور الإمبراطورية الأخمينية لاحقًا. كان الميديون من الشعوب الآرية، وقد تأثروا بعقائد الزرادشتية التي كانت في طور التشكل، بالإضافة إلى ديانات هندوإيرانية أقدم. ظهر في حضارتهم تصور واضح للثنائية بين النور والظلمة، وكان لديهم عدد من الآلهة تمثل قوى الطبيعة والأخلاق، وكانت هذه الآلهة رمزية، تحمل صفات متفرقة للإله الواحد، وهو ما يدركه المتأمل من خلال قراءة توحيدية عميقة.

أعظم أربعة آلهة في حضارة الميديين ونظائرها من الصفات الإلهية:

1 .أهورا مازدا – (Ahura Mazda) إله النور والحكمة، المعبود الأعظم، خالق العالم ومدبره.

نظيره من الصفات الإلهية: رب العالمين – الخالق المدبر، النور نور السماوات والأرض.

2 .أبام نَبات – (Apam Napat) إله المياه والأنهار، موصل البركة والنماء.

نظيره من الصفات الإلهية: الرحمن ذا الخير – المغيث الذي ينزل المطر الذي يفيض بركاته، ويُحيي الأرض بعد موتها، وينشر رحمته في الطبيعة.

3 .أنهيتا – (Anahita) إلهة المياه والنقاء والحب، رمز الخصوبة والطهر.

نظيرها من الصفات الإلهية: الرحيم – الذي ينزل رحماته كما تنزل الأمطار، ويجعل في الماء حياة ورحمة.

4 .رشنو – (Rashnu) إله العدالة والميزان في الحساب الأخروي.

نظيره من الصفات الإلهية: مالك يوم الدين – من بيده الحكم يوم الحساب، لا يُظلم عنده أحد.

بقية الآلهة في حضارة الميديين ونظائرها من الصفات الإلهية:

1 .ميثرا – (Mithra) إله العهد والنور والوفاء، يُمثل الرحمة في العقود والصلات بين البشر.

نظيره من الصفات الإلهية: الودود، الحفيظ – يحفظ العهود، ويصلح بين القلوب.

2 .سرافا – (Sraosha) إله الطاعة والإلهام، موصل الوحي الإلهي.

نظيره من الصفات الإلهية: الموحي ، الهادي – الذي يلهم السكينة، ويوقظ القلوب نحو الطاعة.

3 .فيرثرغنا – (Verethragna) إله النصر والقوة والتغلب على الشرور.

نظيره من الصفات الإلهية: العزيز الجبار النصير – الذي يُمكّن أولياءه ويقهر أعداءه[13].

---

[13] المصادر:

1. The Cambridge History of Iran – Vol. 2: The Median and Achaemenian Periods .

2. Mary Boyce – Zoroastrians: Their Religious Beliefs and Practices .

3. Richard Foltz – Religions of the Silk Road .

4 .موسوعة تاريخ إيران القديم – بإشراف مركز البحوث التاريخية

5. Encyclopaedia Iranica – entries: “Medes”, “Zoroastrianism”, “Ahura Mazda”, “Mithra”, “Anahita” .

6 .زكريا إبراهيم – فلسفة الدين: مدخل لدراسة العقائد الدينية (تحليل رمزي عام للديانات القديمة)

7 .الآثار والنقوش الفارسية القديمة المكتشفة في همدان وأكباتانا، ومتحف طهران الوطني

***

14 الإمبراطورية الأخمينية (550–330 ق.م) — إيران .

تعتبر الإمبراطورية الأخمينية واحدة من أعظم الإمبراطوريات في تاريخ الشرق القديم. تأسست على يد قورش الكبير(Cyrus the Great) ، الذي وحد العديد من الشعوب تحت راية واحدة، شملت مناطق واسعة من آسيا الصغرى إلى الهند. كانت الديانة الزرادشتية هي الدين الرسمي لهذه الإمبراطورية، وشهدت الإمبراطورية الأخمينية صراعًا كبيرًا بين الخير والشر، كما كان للإله أهورا مازدا دور محوري في تشكيل النظام الفكري والديني في الإمبراطورية.

أعظم أربعة آلهة في الإمبراطورية الأخمينية ونظائرها من الصفات الإلهية:

1 .أهورا مازدا – (Ahura Mazda) إله النور والحكمة، خالق كل شيء ومدبره، يتصف بالحكمة المطلقة والرحمة الواسعة.

نظيره من الصفات الإلهية: رب العالمين – الخالق المدبر لجميع المخلوقات، الذي يملك كل شيء في السماوات والأرض. وهو نور السماوات والأرض.

2 .أبام نَبات – (Apam Napat) إله المياه، يعبر عن النماء والحياة التي تتدفق من المياه.

نظيره من الصفات الإلهية: الرحمن – الذي يفيض بركاته، ويُحيي الأرض بمياه رحمته، ويبث الحياة في كل شيء.

3 .أنهيتا – (Anahita) إلهة المياه والخصوبة والنقاء، التي تجسد الأمل والرحمة.

نظيرها من الصفات الإلهية: الرحيم – الذي يهب رحمة واسعة كالأنهار، يغسل الذنوب ويطهر القلوب.

4 .أورموزد – (Ormuzd) إله النور والحكمة، الذي يُرشد البشر نحو طريق الخير والحق.

نظيره من الصفات الإلهية: مالك يوم الدين – الذي يُحكم في يوم القيامة بالعدل، ويُحاكم جميع المخلوقات.

بقية الآلهة في الإمبراطورية الأخمينية ونظائرها من الصفات الإلهية:

1 .ميثرا – (Mithra) إله العهد والنور، وهو تجسيد للعدل والصدق في هذا العالم.

نظيره من الصفات الإلهية: الودود، الحفيظ – الذي يَحفظ العهود ويُقَيم العدالة.

2 .سرافا – (Sraosha) إله الطاعة والنظام، الذي يمثل الرؤية الإلهية والهداية الروحية.

نظيره من الصفات الإلهية: الهادي الموحي المرسل الباعث باعث النبيين – الذي يُرشد الناس إلى الطريق الصحيح، ويعطيهم نور الهداية.

3 .فيرثرغنا – (Verethragna) إله النصر والقوة، الذي يعين المؤمنين في معاركهم ضد قوى الظلام.

نظيره من الصفات الإلهية: العزيز الجبار النصير الناصر – الذي يُهلك أعداء الحق ويدفع الضر عن المؤمنين[14].

***

15 الزردشتية كميراث ديني توحيدي رمزي

الزرادشتية هي إحدى أقدم الديانات التوحيدية التي نشأت في إيران على يد النبي زرداشت (أو زرادشت) في القرن السابع قبل الميلاد. يُعتبر هذا الدين من أولى الديانات التي تبنت مفهوم الإله الواحد

[14] المصادر:

1. The Cambridge History of Iran – Vol. 2: The Median and Achaemenian Periods.

2. Mary Boyce – Zoroastrians: Their Religious Beliefs and Practices.

3. Richard Foltz – Religions of the Silk Road.

4 .موسوعة تاريخ إيران القديم – بإشراف مركز البحوث التاريخية

5. Encyclopaedia Iranica – entries: “Achaemenid Empire”, “Ahura Mazda”, “Mithra”, “Zoroastrianism”.

6 .زكريا إبراهيم – فلسفة الدين: مدخل لدراسة العقائد الدينية

7 .النقوش الفارسية القديمة المكتشفة في بيرسيبوليس وطيبة، وكتابات المؤرخين اليونانيين عن الإمبراطورية الأخمينية

في مواجهة قوى الظلام. وقد شكلت الزرادشتية الأساس الفكري والروحي للعديد من الحضارات الإيرانية، حيث تم تكريس أهورا مازدا، الإله الأوحد، كمصدر للخير، فيما كان أهرمان يمثل الشر. هذه الثنائية تمثل صراعًا مستمرًا بين النور والظلام، الحق والباطل.

مفهوم الزرادشتية وتوحيد الإله:

الزرادشتية هي دين توحيدي بامتياز، وتعلم أن أهورا مازدا هو الإله الوحيد الذي خلق كل شيء في الكون. لكن في فهم الزرادشتية، يظهر الصراع المستمر بين قوى الخير (أهورا مازدا) وقوى الشر (أهرمان). هذا الصراع يعكس الحقيقة الرمزية التي تقول بأن الكون في حالة ديناميكية مستمرة بين النور والظلام، وأن البشرية هي محور هذه المعركة الروحية. الفهم الزرادشتي يرى أن أهورا مازدا هو أصل الخير، والرحمة، والعدل، ويُعَبر عن نفسه من خلال الأعمال الخيرية والعدالة على الأرض.

مفهوم النور والظلام:

تمثل الزرادشتية أحد أسمى رموز التوحيد الرمزية من خلال التفاعل بين النور والظلام، حيث يُرى النور (أهورا مازدا) كرمز للخير والتوجيه، في حين يمثل الظلام (أهرمان) معركة الإنسان ضد الشر. فكرة النور كمصدر للهداية تُعد من المفاهيم التوحيدية الجوهرية التي تتبناها الزرادشتية، وبالتالي يتجلى الدين الزرادشتي كدعوة للإنسان للتقرب من النور والابتعاد عن الظلام.

أثر الزرادشتية على الحضارات الأخرى:

الزرادشتية لم تكن مجرد دين في الإمبراطورية الأخمينية، بل كانت جزءًا أساسيًا من الحياة الاجتماعية والفكرية للمنطقة. كان لها تأثير كبير على العديد من الديانات الكبرى في المنطقة، بما في ذلك اليهودية والمسيحية والإسلام. ففي تلك الحقبة، كان هناك تفاعل فكري كبير بين الزرادشتية وبقية الأديان السماوية، حيث أخذت بعض المفاهيم مثل الثواب والعقاب، ونهاية العالم، والملائكة والشيطان، والتي نجدها في الديانات الأخرى، جزءًا من التراث الزرادشتي.

الزرادشتية والرمزية التوحيدية:

تُعتبر الزرادشتية رمزًا لفكرة التوحيد الرمزي من خلال تجسيد أهورا مازدا في صورة النور، وهو يشير إلى علاقة بين الكون والإنسان ومصدره الأسمى. يهدف الدين إلى تعليم الناس التمسك بالخير والعدالة، والاستقامة، على أن يُحَارَب الشر ويمارس الإنسان أعمالًا خيرية تساهم في تحسن العالم.

نظائر الزرادشتية في الصفات الإلهية:

1 .أهورا مازدا – (Ahura Mazda) إله النور والحكمة الذي يمثل مصدر الخير في الكون.

نظيره من الصفات الإلهية: رب العالمين – النور الخالق والمدبر لكل شيء، الذي يملك الكون بسلطانه وحكمته.

2 .أهرمان – (Angra Mainyu) إله الشر الذي يمثل الظلام والفساد، خصم أهورا مازدا في الصراع الأبدي.

نظيره من الصفات الإلهية: القوي الجبار المتكبر المنتقم – القوة التي تدفع بالشرور إلى الزوال وتُقَيم العدالة في النهاية.

3 .الضياء الأبدي – (Atar) الإله الذي يمثل النور الخالد، حيث يعتبر رمزًا للحكمة والنقاء.

نظيره من الصفات الإلهية: الرحمن – النور الذي تشع رحمته ونوره على جميع المخلوقات.

4 .الخير – (Vohu Manah) تجسيد العقلانية والخير الذي يدير الأمور بصبر وعقلانية.

نظيره من الصفات الإلهية: المعطي الرزاق المغيث الرحيم – الذي يفيض رحمة لا حدود لها على عباده[15].

---

[15] المصادر:

1. Mary Boyce – Zoroastrians: Their Religious Beliefs and Practices .

2. Encyclopaedia Iranica – entry on Zoroastrianism .

3. Richard Foltz – Religions of the Silk Road .

4. The Cambridge History of Iran – Vol. 2: The Median and Achaemenian Periods .

5. Zoroastrian Archives .

6. The Avesta – sacred texts of Zoroastrianism .

***

خلاصة:

في هذا الفصل نلمس تحوّلاً جوهرياً في مسار البشرية الروحي. إذ ننتقل من زحمة الآلهة في الحضارات القديمة إلى بدايات صحوة توحيدية أكثر نضجًا، حيث بدأ عدد الآلهة يتناقص تدريجيًا، وكأن العقل البشري أخذ يقترب بخطاه المتعثّرة من فكرة الإله الواحد. في الحضارات الإيرانية، خصوصًا في الزرادشتية، نرى أول ملامح هذا الانتقال؛ إذ يُبشّر زرادشت بفكرة التوحيد الخالص، داعيًا إلى عبادة إله واحد هو أهورا مازدا، إله النور والحكمة.

لكن العقل الإنساني في تلك الحقبة لم يكن قد بلغ من النضج ما يمكّنه من إدراك فكرة التوحيد بشكلٍ كامل، لذلك ظلّ أسيرًا لفكرة الثنائية: نور وظلام، خير وشر، أهورا مازدا وأهرمان. كان ذلك انحرافًا عن التوحيد، ومحاولة عقلية لتبسيط الصراع الكوني ضمن رمزين متضادين. ومع ذلك، فإن جوهر دعوة زرادشت لم يكن هذه الثنائية، بل كان تأكيدًا على عبادة إله واحد، أزلي، حكيم، وبارّ، وأن ما سواه من الشر إنما هو نتاج الحرية التي مُنحت للإنسان ليختار طريقه.

لقد وقف زرادشت كما وقف الأنبياء من قبله، يعلن أن كل الآلهة التي عبدها الناس ما هي إلا صور رمزية لصفات الإله الواحد، وأن العبادة الحقة يجب أن تتوجه للخالق وحده، لا إلى مظاهر قوته. ومع الزرادشتية، نقترب أكثر من النور الكامل، وتبدأ البشرية بالخروج من ظلمات تعدد الآلهة إلى فجر التوحيد. وهكذا تواصل الرسالة الإلهية شقّ طريقها في وعي الإنسان، حتى يتهيّأ لاستقبال أعظم النور في الوحي الذي سيأتي لاحقًا.

---

7. Gary K. Young – Zoroastrianism and the Legacy of Persia.

8. موسوعة تاريخ إيران القديم – إشراف مركز البحوث التاريخ.

***

الفصل الرابع: حضارات الهند الكبرى

16. حضارة وادي السند (3300–1300 ق.م) — شمال الهند

تُعد حضارة وادي السند من أقدم حضارات شبه القارة الهندية، وقد نشأت في المناطق الممتدة بين نهر السند وروافده في ما يُعرف اليوم بالبنجاب وشمال غرب الهند. اتسمت هذه الحضارة بتخطيط حضري متقدم، حيث بُنيت مدن مثل موهينجو دارو وهاراپا بنظام صرف صحي معقد، وشوارع مرصوفة، ومبانٍ مبنية بالطوب المحروق. كما عرف أهلها التجارة والزراعة والكتابة، على الرغم من أن رموزهم الكتابية لم تُفكك بعد بشكلٍ كامل. ومن حيث الديانة، تُظهر المكتشفات آثارًا لتعدد الآلهة، معظمها يرتبط بعناصر الطبيعة، وبعضها يُظهر ملامح أولية لفكرة التوحيد الرمزي.

أعظم أربعة آلهة في حضارة وادي السند ونظائرها من الصفات الإلهية:

1 .شن – (Shen) رب الأرض والخصب والطبيعة

يُمثّل الإله الأكبر في بعض التماثيل والمطبوعات، ويُظهر على هيئة جالس بوضع تأملي وسط الحيوانات.

نظيره من الصفات الإلهية: رب العالمين – المدبر الأعلى لشؤون الخلق والطبيعة.

2 .آشي – (Ashi) إلهة النهر والحياة المتدفقة

إلهة مرتبطة بالماء والعطاء والوفرة، وربما كانت تُعبد من أجل الخصوبة والصحة.

نظيرها من الصفات الإلهية: الرحمن – المعطي بلا حساب، الرحيم بالعالمين.

3 .ماتا – (Mata) الإلهة الأم

تُعبّر عن الحنان والحماية، وكانت تماثيلها تُصوّر كثيرًا في البيوت، دلالة على رعاية الأمهات.

نظيرها من الصفات الإلهية: الرحيم – الحنون، اللطيف، الحافظ.

4 .يارا – (Yara) إلهة الموت والتحوّل

تمثل القوة التي تُنهي الحياة لتعيدها في دورة جديدة، ما يدل على فهم أولي لمفهوم البعث.

نظيرها من الصفات الإلهية: مالك يوم الدين – الذي يملك المصير ويبعث الخلق من بعد الموت.

بقية الآلهة ونظائرها من الصفات الإلهية:

5 .آغني – (Agni) إله النار

نظيره: القهار – الذي يُطهّر ويهيمن بالقوة.

6 .فارونا – (Varuna) إله السماء والعدالة

نظيره: العدل، الرقيب – من لا يغيب عن شيء.

7 .إندا – (Inda) إله المطر والرعد

نظيره: العزيز، المسخّر – الذي يُنزل المطر ويُسيّر الطبيعة بأمره.

8 .براهما البدائي – (Proto-Brahma) رمز أولي للعقل الكلي أو الإله المتعالي

نظيره: الأحد، الخالق – الموجد الأول، الذي ليس كمثله شيء.[16]

***

[16] المصادر:

Possehl, Gregory L. The Indus Civilization: A Contemporary Perspective. Rowman Altamira, 2002.

Kenoyer, Jonathan Mark. Ancient Cities of the Indus Valley Civilization. Oxford University Press, 1998.

McIntosh, Jane. The Ancient Indus Valley: New Perspectives. ABC-CLIO, 2008.

Parpola, Asko. Deciphering the Indus Script. Cambridge University Press, 1994.

– Britannica: Indus Valley Civilizationدائرة المعارف البريطانية

الموسوعة العربية العالمية – حضارة وادي السند

فراس السواح، مغامرة العقل الأولى

17 .الحضارة الفيدية والبرهمية (1500 ق.م فصاعدًا) — الهند

في قلب شبه القارة الهندية، حيث تعاقبت أمم وديانات وحكمت سلالات، برزت الحضارة الفيدية بوصفها أصل الديانة الهندوسية، وهي أقدم المراحل الروحية والفكرية التي عرفتها أرض الهند. وقد حملت هذه الحضارة في طياتها إشارات موغلة في الرمزية، تدل على أن البشرية، وإن تفرّقت عباداتها، كانت محاولات لفهم حقيقة التوحيد من وراء الرموز والأمثال.

وقد تفرد[17] حضرة المسيح الموعود، الإمام المهدي والمسيح الموعود، حضرة مرزا غلام أحمد القادياني عليه السلام، في كشف هذه الإشارات وقراءتها قراءة توحيدية. فهو أول من فسّر رموز الآلهة الفيدية على ضوء نور القرآن، مبيّنًا أن ما اعتُبر آلهة متعددة في ظاهر النصوص إنما هي صفات لإله واحد، ظهرت في الطبيعة كمرآة مجازية، فسُمّيت بالآلهة استعارة.

وفي هذا الفصل، نعرض ما تفضّل به حضرته عليه السلام من تأويل عميق لآلهة الفيدا، وأثبت بالتفصيل أن كل ما جاء في كتب الفيدا ليس إلا إشارات رمزية للصفات الإلهية، وقد ضلّ عنها الناس وعبدوها منفصلة، في حين أن الإله واحد.

لقد بيّن حضرته أن في الفيدا أربعة آلهة رئيسية تمثل لصفات الله الأربعة الكبرى، وهي:

---

[17] لذلك جاء تأليف هذا الكتاب، بفضل الله، وبتوفيق منه، استجابة لأمر من يوسف بن المسيح، إلى خادمه المتواضع حازم مصطفى.

رب العالمين — إندر (السماء والماء)

"إندر"، المقرون بالماء والسماء، يمثل في الحقيقة صفة ربوبية الله العامة. فالقرآن يقول: {وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ}، فالماء هو أساس كل حياة. لذا، فإن إندر هو رمز مجازي للرب الذي يربي جميع العوالم، أي "رب العالمين"، لأن الماء والسماء يحتضنان النظام الكوني كله.

الرحمن — الشمس

الشمس في الفيدا تتجلّى بوصفها واهبة الحياة، تمنح النور والدفء للأرض دون طلب، وتكسو الأشجار العارية بأثواب الربيع. هي تمثل الرحمة السابقة للأعمال، وهكذا فهي رمز لصِفة "الرحمن"، الذي يفيض بالنعمة دون استحقاق، ويمنح قبل أن يُسأل.

الرحيم — القمر

القمر، بحسب الفيدا، يكمل ما بدأته الشمس، فيجعل الثمار ناضجة ويمنح النمو والطراوة. إنه يتفقد الضعفاء ويتمم النقصان، ولهذا استحق أن يُعدّ رمزا لصِفة "الرحيم"، الذي يُثيب العاملين ويكافئ الساعين، ويتلطف بالمستضعفين.

مالك يوم الدين — الأرض

وأما الأرض، فهي التي تستقر فيها الثمار، وتحمل الإنسان وسائر الكائنات، وتُظهر عدلها بأن تكرم من تشاء وتذل من تشاء، فهي رمز مجازي لصفة "مالك يوم الدين". حيث تنكشف الحقيقة، ويُعطى كل ذي حق حقه، وتنزل الأشياء منازلها.

وهكذا أبان المسيح الموعود عليه السلام، أن هذه الأسماء الأربعة التي وردت في الفيدا ليست إلا أسماء استعارتها الفطرة من مظاهر الطبيعة لتدلّ على صفات الله، ولكن البشرية، حين افتقدت النور النبوي، عبدت الصور ونسيت المعاني، فجعلت من الرموز آلهة، ومن الوسائط أربابًا.

هناك في نصوص الفيدا، هناك العديد من "الآلهة" الأخرى المذكورة إلى جانب الأربعة التي فسّرها المسيح الموعود عليه السلام على أنها رموز للصفات الإلهية الكبرى. لكن هذه الآلهة الإضافية ليست آلهة في ذاتها بالمعنى التوحيدي، بل هي رموز لعناصر الطبيعة وقوى كونية، وتمثل صفات فرعية أو مظاهر جزئية من قدرة الله، وفق التفسير المجازي. إليك أبرز هذه "الآلهة" من الفيدات.

آلهة أخرى في الفيدا (رموز مجازية لقوى الله وصفاته)

1. أغْنِي — (Agni) إله النار

يُذكر كثيرًا في الفيدا، ويُقدَّم إليه القربان، لأنه الوسيط بين البشر والآلهة، ينقل "الهوم" (القرابين) إلى العلى. هو في الحقيقة رمز لقوة الله في التحويل والتطهير، وهو مظهر من مظاهر "القدرة الإلهية والوساطة بين السماء والأرض."

2. إندرا — (Indra) إله المطر والرعد والبطولة

قائد الآلهة في الريغفيدا، يهزم قوى الظلام (فريترا)، ويجلب المطر. هو تجلٍّ لمفهوم القوة الإلهية القاهرة التي تهزم الشر وتمنح الخير. يمكن ربطه مجازًا بصفات مثل "القهار، الجبّار، الناصر."

3. فَايو — (Vayu) إله الرياح

يرمز إلى الحياة غير المرئية، لأنه يحرك دون أن يُرى. هو تجسيد لقوة الله في الروح، والهواء الذي به الحياة، ويُشبه بذلك "الحي، اللطيف، المدبّر المسيّر."

4. سُوريا — (Surya) إله الشمس

وهو في صلب التفسير التوحيدي رمز للرحمانية، كما فسره المسيح الموعود عليه السلام. يظهر في الفيدا ككاشف للظلمة، باعث للنور، مانح للحياة.

5. شاندرا — (Chandra) إله القمر

يُذكر في الفيدا كمصدر للنعومة والبركة والهدوء. وُصف بأنه يمنح الهدوء في الليل، ويضبط دورة النبات. وهو عند المسيح الموعود عليه السلام رمز لصفة الرحيم.

6. فارونا — (Varuna) إله النظام والعدل والماء

يُعتبر حاكمًا أخلاقيًّا، يراقب البشر ويعاقبهم. وهو من أقرب الرموز لفكرة العدل الإلهي، ويمكن ربطه بصفة "الرقيب، العدل، الشهيد."

7 .بوشان — (Pushan) إله الحماية والطرق

يرافق المسافرين ويقودهم، ويحرس القطيع. وهو صورة رمزية لـ الهداية والرعاية الإلهية.

8 .بريهسبتي — (Brihaspati) إله الحكمة والكلمة المقدسة

معلم الآلهة، ومرتبط بالكلمة المقدسة "براهمان". يرمز إلى الحكمة والوحي[18].

خلاصة توحيدية:

كل هذه الأسماء والأشكال ليست إلا رموزًا لحقيقة واحدة: الله الواحد الأحد، الذي تتجلى صفاته في الطبيعة، فأخذها البشر وصاغوها بأسلوب شعري رمزي. وقد فسّر المسيح الموعود عليه السلام عليه السلام ذلك قائلاً: "جميع الأشياء التي تعمل في هذا العالَم للحفاظ على نظام العالم إنما هي نماذج أسماء الله وصفاته في الحقيقة التي تتجلى في أسلوب المجاز. وكأن الأجرام السماوية والعناصر الأرضية أوراق كتابٍ نتلقى بواسطتها درس المعرفة بصفات الله تعالى." نسيم الدعوة، صـ127

"لا يظنن أحد أن كلّها آلهة في الحقيقة، بل الحق أنها تحت سيطرة مالك واحد، وقد خُلقت لفائدة البشر. لقد استخدمت كلمة 'الإله' هنا كاستعارة".نسيم الدعوة، صـ121

---

[18] المصادر:

رج فيدا — (Rig Veda) ترجمات متعددة وتفاسير سنسكريتية

كتب حضرة مرزا غلام أحمد القادياني عليه السلام، خاصة: "نسيم الدعوة"

القرآن الكريم، سورة الفاتحة

دراسة مقارنة للدكتور أنور شاه، جامعة البنجاب،

Singh, R. "Religious Thought in the Vedas", New Delhi, 2003

Flood, Gavin. An Introduction to Hinduism. Cambridge University Press, 1996

Basham, A. L. The Wonder That Was India, Picador, 2004

"فتبين من هذا البحث كله أن هذه الآلهة الأربعة المجازية المذكورة في الفيدا تتصف بأربع صفات مجازية... فهذه الصفات مشهودة ومحسوسة. وبناء على هذه الأمور عدّها ذو العقول السطحية آلهةً حقيقية، وحسبوها 'أرباب النوع' وجديرة بالعبادة." المصدر: نسيم الدعوة، صـ123

"وإن أعمالها ليست ناتجة عن إرادتها، بل إن قوة الله تعمل وراءها كلها... فكأنها ميتة في يد الحي." نسيم الدعوة، صـ122

"مثل هذه الاستعارات موجودة في الفيدا بكثرة، وهي تبدو في البداية كأفكار الشعراء، ولكن لو تعمقنا فيها أكثر لتراءى فيها شيء من لمعان علمي أيضاً." نسيم الدعوة، صـ122

"لذا فإن هذه الاشياء لا تستحق العبادة. وإضافة الى ذلك، إن أعمالها ليست ناتجة عن ارادتها، بل إن قوة الله تعمل وراءها كلها ". نسيم الدعوة، ص126

"إن قطعة الحديد التي اتخذت هيئة النار بدخولها النار، يمكن أن نقول بأنها تحرق وتضيء أيضاً، ولكن تلك الصفات ليست صفاتها، بل هي صفات النار." نسيم الدعوة، صـ131ولم يكن هذا التأويل التوحيدي العظيم ثمرة تأمل بشري فحسب، بل كان بوحي من الله، ووعد قطعه الله عليه أن يُظهر على يديه النور المخبوء في ظلمات الوثنية، ويكشف الغطاء عن أسرار الأمم"

***

18. الهندوسية وتطور تعدد الآلهة — الهند

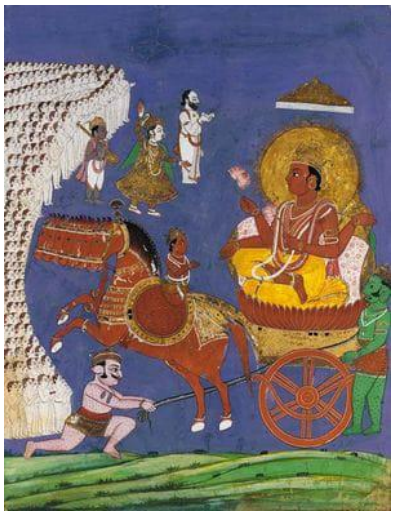

بعد انتهاء العصر الفيدي، بدأت ملامح ما يُعرف اليوم بالهندوسية تتشكل عبر القرون، خاصة خلال عصر الـ"برهمانات" و"الأوبنشاد"، وتبلورت أكثر في عصور الملحمات الكبرى (الماهابهاراتا والرامايانا) التي رسّخت صورة أكثر شخصيةً وتعددًا للآلهة، وانتقلت الهندوسية من الرمزية الفيدية إلى تعددية معبودة ملموسة.

ومع أن النصوص الأولى كالـ"أوبنشاد" تذكر وحدة الوجود وتتوغل في التأملات التوحيدية، إلا أن الفهم الشعبي للهندوسية تطوّر باتجاه تعدد الأشكال والتماثيل، فتحولت الصفات إلى أشخاص، والرموز إلى آلهة، وانتشرت عبادة الثالوث الهندوسي: براهما (الخالق)، فشنو (الحافظ)، شيفا (الهادم)، إضافة إلى آلهة كثيرة أخرى تجسّد صفات أو وظائف جزئية.

لكن كل هذه الآلهة، عند التأمل، ليست سوى انعكاسات رمزية لصفات الله الواحد، كما بيّن ذلك الأنبياء من قبل، وشرحته النصوص العليا في لحظات صفائها الروحي.

أعظم أربعة آلهة في الهندوسية ونظائرها من الصفات الإلهية:

1. براهما — (Brahma) إله الخلق والعقل الكلي

يوصف بأنه خالق العالم، المولود من زهرة اللوتس، العارف بالودا. وهو في جوهره رمز لصفة رب العالمين، المدبّر والمبدع للعوالم، خالق النظام الكوني بعقله ومشيئته.

2. فِشنو — (Vishnu) إله الحفظ والتوازن

الذي يهبط إلى الأرض كلما ساد الفساد، ويُبعث بأشكال مختلفة (أفاتارات) لحماية البر والتوازن. يمثل بذلك صفة الرحمن، الذي يتجلّى للخلق بعنايته، ويحميهم من الظلم قبل أن يطلبوه.

3 .لاكشمي — (Lakshmi) إلهة الخير والرزق والجمال زوجة فشنو، تُرمز إلى النعمة والجود والتوفيق، وتُصوَّر وهي تسكب الذهب بيديها. هي تجسيد أنثوي لصفة الرحيم ذا الخير، الذي يُعطي بركة خاصة للمؤمنين، ويغمرهم بحنان جزيل.

4 .شيفا — (Shiva) إله الفناء والحساب والنهاية

يُمثل النهاية والبعث والتحوّل، ويُبجل كربّ للزمن والموت. في حقيقته، هو انعكاس لصفة مالك يوم الدين، الذي بيده المصير، ويقضي بين العباد بالحق، ويُعيد دورة الخلق من جديد.

بقية الآلهة الهندوسية ونظائرها التوحيدية:

سارَسواتي — (Saraswati) إلهة العلم والموسيقى، ترمز إلى الحكيم، العليم.

كريشنا — (Krishna) أحد تجليات فشنو، يجمع بين المحبة والبطولة، يرمز إلى الودود، الناصر.

راما — (Rama) أفاتار الحق والعدل والوفاء، يمثّل الصادق، الشهيد، العدل.

دورغا — (Durga) المقاتلة ضد قوى الشر، رمز المنتقم، العزيز، القهار.

غانيشا — (Ganesha) مزيل العقبات، المُبارك في البدايات، يرمز إلى الفتاح، العليم، الهادي[19].

[19] المصادر:

Bhagavad Gita

Upanishads (Brihadaranyaka, Chandogya, etc.)

Gavin Flood, An Introduction to Hinduism

Radhakrishnan, Indian Philosophy

A.L. Basham, The Wonder That Was India

إن جميع هذه الآلهة ليست في أصلها إلا صفات للإله الواحد، نطقت بها الفطرة، فصاغها البشر بالخيال والأسطورة، حتى تغلّف المعنى بالرمز، والصفة بالشكل. فعبد الناس المظهر ونسوا الجوهر، وتفرقت العبادة بعد أن كانت موجهة لله وحده. وما من نبي إلا وقد نبه قومه إلى أن "ما تعبدون من دون الله إلا أسماء سميتموها أنتم وآباؤكم|

***

19 .الديانات الجاينية والبوذية كتفاعل فلسفي مع الموروث — الهند

في قلب شبه القارة الهندية، وفي ذروة ازدهار الطقوس الفيدية التي غلب عليها تعدد الآلهة وتعقيد الشعائر، ظهرت دعوتان إصلاحيّتان لم تكونا عبثًا ولا تمردًا، بل كانتا تفاعلاً روحيًّا وفلسفيًّا عميقًا مع الموروث الديني القائم. هاتان الدعوتان هما: الجاينية التي نادى بها مهاويرا، والبوذية التي أسسها غوتاما بوذا.

هاتان الحركتان لم تعتنيا بآلهة كثيرة، بل صمتتا عنها أو أنكرتاها، وركّزتا على السلوك، والتأمل، والزهد، والنجاة من دورة الولادة والموت. وعلى الرغم من أن الجاينية والبوذية لا تتحدثان عن الله بصيغة إيمانية واضحة، فإن تأمل رموزهما وتعاليمهما يكشف لنا عن تمثّلات ضمنية للصفات الإلهية الكبرى التي فطر الله الناس عليها.

ومع أننا نعلم أن هذه الرموز ما هي إلا استعارات وأمثلة شعرية، فإننا في هذا السياق ندرجها بصفتها كانت تُعدُّ في نظر أتباعها آلهة، عُبدت أو قُدّست، ثم أعاد التأمل التوحيدي فهمها كرموز مجازية لصفات الله.

<u>أعظم الآلهة المقدسة في البوذية والجاينية كما يؤمن بها أتباعها، ونظائرها من الصفات الإلهية:</u>

1 .دارماكايا (Dharmakaya) إله البوذية الأعلى، الأصل الكوني، والوجود غير المتجسد، الذي تتفرع عنه كل تجليات بوذا. هو الحقيقة المطلقة، والجوهر الأزلي. نظيره من الصفات الإلهية: رب العالمين — المدبّر، المحيط بكل شيء، الذي يصدر عنه الوجود والنظام.

2 .كارونا (Karuna) إلهة الرحمة في البوذية، وهي القوة الكونية التي تجسّد العطف غير المشروط، وتُعدّ من الصفات الأساسية للبوذا الكامل. نظيرها من الصفات الإلهية: الرحمن — الفائض بالعطاء واللطف على الجميع دون استحقاق.

3 .بوديساتفا (Bodhisattva) كائن إلهي عند أتباع الماهايانا، يؤجل نجاته الذاتية ليعود إلى عالم الآلام، ويخلّص الكائنات الأخرى. يُعبد بوصفه شفيعًا ومخلّصًا. نظيره من الصفات الإلهية: الرحيم — الذي يرعى المستضعفين ويقودهم بلطفه إلى الكمال.

4 .قانون الكارما والنيرفانا (Karma & Nirvana) يُعتبر في الجاينية والبوذية نظامًا كونيًّا صارمًا لا يحيد، فيه تُقاس الأعمال وتُعطى جزاءها، والنيرفانا هي الحالة الإلهية القصوى التي تُعبد بوصفها غاية الغايات. نظيره من الصفات الإلهية: مالك يوم الدين — الذي يزن الأعمال، ويجزي، ويمنح الخلاص الأبدي.

<u>آلهة أخرى ونظائرها من الصفات الإلهية:</u>

5 .أميتابها — (Amitabha) بوذا النور الأبدي، يُعبد في بوذية الأرض الطاهرة بوصفه إلهاً منقذًا يستقبل أرواح المخلصين. نظيره: النور، الهادي، الغفور.

6 .مانجوشري — (Manjushri) إله الحكمة، حارس المعرفة الباطنية، يُصوَّر حاملاً سيف الحكمة الذي يقطع الجهل. نظيره: الحكيم، العليم. النور .

7 .تارا — (Tara) إلهة أنثوية تُعبد كحامية وراعية، تُنادى في الشدائد وتُنسب إليها قوى النجاة. نظيرها: الحفيظ، الرؤوف، اللطيف.

8 .مهاويرا — (Mahavira) الإله الأعلى في الجاينية، وآخر التيرثانكارا، يُعبد بوصفه الكامل، المُطهَّر، والقدوة. نظيره: القدوس، الزكي، السلام[20].

لم تكن هذه الآلهة سوى محاولات رمزية لتجسيد الصفات الإلهية الكبرى التي فطر الله الناس عليها. فدارماكايا ليست سوى انعكاس للعقل الكوني، والكارونا مرآة لرحمة الله، والكارما محاكاة للعدل، والنيرفانا ظلّ للنجاة الكبرى التي وعد الله بها المؤمنين. فعبّر الفكر البوذي والجايني عن التوحيد، وإن كان في صورٍ صامتة، خالية من لفظ الجلالة، لكنها مشبعة بأثره

***

خلاصة:

في أعماق التاريخ الهندي، حيث ارتفع دخان القرابين نحو السماء، وترددت أصوات الكهنة بمدائح الآلهة، كانت الفطرة تبحث عن الله، وكانت الروح تستبطن توحيدًا نقيًّا ضاع وسط الطقوس والتأويل. لقد بدأت رحلة الإنسان الهندي مع رموز الطبيعة التي أحاطت به: الشمس، القمر، الماء، النار، الريح... وسمّاها آلهة، لا لأنه لا يريد الله، بل لأنه لم يفهم وحدانية الله التي مرارا اتى الانبياء لإرسائها ، لأنه لم يفهم أن هذه القوى ليست إلا آثارًا من صفاته، ومرايا تعكس نوره. وما كان تعدد الآلهة في الفيدا إلا انعكاس لصفات الإله الواحد، لكنها تحولت في يد العامة إلى أرباب تُعبد، وضاعت المعاني خلف الأسماء.

---

[20] المصادر:

– Tripitakaالنصوص البوذية الأساسية

– Jain Agamasالنصوص الجاينية

Rahula, Walpola. What the Buddha Taught

Dundas, Paul. The Jains

Basham, A.L. The Wonder That Was India

ثم جاءت الديانة الهندوسية فزادتها طبقات من الأسطورة، وقدّمت الآلهة بألف اسم وصورة، حتى صعب على القلب أن يتذكّر الله خلف هذا الزحام. او ان يراها امام هذا الضباب، لكن الله لا يترك خلقه، فكما أرسل الرسل إلى أقوام عاد وثمود ومصر، كذلك أشرق نور الحق على الهند في ذلك الوقت، فجاء من بين أهلها من نادوا بالفطرة، وأعادوا العقل إلى التوحيد. فبوذا دعا إلى التوحيد والرحمة والزهد والحق والنجاة من الأهواء، وكل ذلك لا يكون إلا بربٍّ واحد. كذلك عيسى في تلك الأوقات كان هناك بعد نجاته من الصلب، وكذلك مهاويرا، في زهادته وطهارته، لم يكن إلا صوتًا من أصوات الأنبياء، ينكر على الناس وثنيّتهم، ويدعوهم إلى السمو الأخلاقي، الذي لا ينبع إلا من يقين في إله فوق البشر.

إن كل من عبد آلهة الهند عبد أسماء لا تملك لنفسها ضرًّا ولا نفعًا، وكانت عبادته تلك تيهانًا عن الله. وما نادى به الأنبياء إلا دعوة صريحة: أن كل ما تُقدّسونه من مظاهر، وكل ما تنسبون له القوة، هو عبد لله، وليس شريكًا له. وكلما أرسل الله وحيًا، أعاد الناس إلى الأصل: قل الله أحد، لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفوًا أحد.

وهكذا، فإن الفصل الرابع لا يحكي عن عبادة أصنام فقط، بل يري بحث البشر وتوهانه عن الواحد، وعن قلوب كانت قد تعرف الطريق ولكنها نسيت الأسماء. فجاء من يُذكّرها أن ربّ العالمين ليس شمسًا ولا قمرًا، ولا بوذا ولا مهاويرا، بل هو خلق الشمس والقمر، وأرسل بوذا ومهاويرا. وأن التوحيد لا يموت، بل يُبعث من تحت رماد الوثنية في كل عصر، ويكسر كل تمثال: "إنني أنا الله، لا إله إلا أنا فاعبدني".

***

الفصل الخامس: الحضارات الصينية والتبتية

20 .الحضارة الصينية القديمة (2200 ق.م فصاعدًا) — الصين

في أودية النهر الأصفر، وعلى امتداد سهول الصين الخصبة، نشأت واحدة من أعرق حضارات العالم وأكثرها استمرارًا. منذ سلالة "شيا" الأسطورية، مرورًا بسلالتي "شانغ" و"زو"، وحتى بدايات العصر الإمبراطوري، برزت في الصين معتقدات دينية غنية برموزها الكونية، وتعظيمها لقوى السماء والأجداد، وعبادتها لآلهة تجسّد قوى الطبيعة والنظام.

كانت عبادة السماء (تيان) تمثل قمة العقيدة الدينية، فـ"تيان" لم يكن مجرد إله من بين آلهة، بل هو الكائن الأعلى، سيد النظام، والضامن للعدالة الكونية. أما "شانغ دي"، الذي ساد ذكره في زمن أسرة "شانغ"، فقد عُبد بوصفه ربًّا أعلى، يُنزل القضاء، ويراقب أعمال الملوك والبشر. ومع أن هذه الأسماء حُسبت من الآلهة، فإن التأمل التوحيدي يكشف أنها ليست إلا مظاهر رمزية للصفات الإلهية الكبرى.

أعظم أربعة آلهة في الحضارة الصينية القديمة ونظائرها من الصفات الإلهية:

1 .شانغ دي — (Shangdi) إله السماء الأعلى

الوصف: الحاكم السماوي الأعلى، يراقب البشر، يوزّع الحظ والنصر، ويُجري العقاب والمكافأة. عُبد بوصفه ربًّا للأقدار والملك.

نظيره من الصفات الإلهية: رب العالمين ذا التقدير — المدبّر الأعلى، المشرف على نظام الكون.

2 .تيان — (Tian) السماء المقدسة

الوصف: قوة كونية عليا، مصدر السلطان الشرعي، يهب الملوك "تفويض السماء" للحكم. كان يُخشى ويُبجل.

نظيره من الصفات الإلهية: الرحمن — الذي يمنح النعمة والشرعية والحياة دون استحقاق.

3 .تيي — (Di) إله الأرض

الوصف: يُعبد إلى جانب السماء، بوصفه مظهرًا لقوة الخلق والخصب والاستقرار، ويُقرن دائمًا بتيان.

نظيره من الصفات الإلهية: الرحيم — الذي يُنزل البركة، ويُخرج النبات، ويثيب على السعي.

4 .يانغ وييِن — (Yin & Yang) قطبا الوجود المتكاملان

الوصف: مبدآن كونيان، يمثلان التوازن بين النور والظلمة، الذكر والأنثى، الحركة والسكون، الحياة والموت. ليستا آلهة بالمعنى التقليدي، لكنهما نُظِر إليهما كمصدر للخلق والنظام.

نظيرهما من الصفات الإلهية: مالك يوم الدين — الذي يحكم التوازن، ويزن كل شيء بميزان العدل والجزاء.

بقية الآلهة الصينية القديمة ونظائرها من الصفات الإلهية:

5 .نوجوا — (Nüwa) إلهة الخلق وإصلاح العالم

نظيرها: الخالق، الجبّار.

6 .فوجي — (Fuxi) إله النظام والعلم

نظيره: العليم، الحكيم، المبدئ.

7 .شين نونغ — (Shennong) إله الزراعة والدواء

نظيره: الرزاق، الشافي، الهادي.

8 .هوانغ دي — (Huangdi) الإمبراطور الأصفر المؤله

نظيره: الملك، المدبّر، القائم على شؤون الخلق[21].

خلاصة رمزية توحيدية:

ما يبدو للوهلة الأولى تعددًا في الآلهة لم يكن في جوهره إلا وصفًا شعريًّا لمظاهر الطبيعة والحياة، وهي في حقيقتها تجلّيات لصفات الله الواحد. فالصيني القديم، حين كان يرفع عينيه إلى "تيان"، أو يتوسل إلى "شانغ دي"، كان في عمق شعوره يبحث عن العدل، والنظام، والرحمة، والخلاص. وعندما عبد الناس قطبي الوجود "يانغ وبين"، لم يكونوا يعرفون الله، بل كانوا يعبّرون عن قانون التوازن الإلهي الكامن في الوجود.

ومن هنا، نفهم أن ما عُبد من آلهة في الصين القديمة ما هو إلا انعكاسات مجازية لصفات الله، وأن كل تمجيد للسماء، أو تقديس لقوة الخلق والنظام، أو خوف من ميزان الحياة والموت، إنما هو في حقيقته بحث عن الإله الواحد، وإن تاهت العبارات، وتعدّدت الأسماء.

---

[21] المصادر:

النصوص الكونفوشية الكلاسيكية(Shujing, Liji)

سجلات سلالة زو، كتاب الأغاني

دراسات في الديانة الصينية القديمة – جامعة بكين

Basham, A.L. The Wonder That Was India

Legge, James. The Chinese Classics

وقد بُعث الأنبياء في الشرق كما بُعثوا في الغرب، وإن لم تصل إلينا أسماؤهم، فقد بقي أثرهم في بقايا التوحيد، في الأخلاق التي تُنسب للسماء، وفي قلوب كانت تعرف أن فوقها ربًا لا يُدرك بالحواس، لكنه حاضر في كل شيء.

ومن هؤلاء الأنبياء العظام الذين أناروا طريق التوحيد في الصين، نبيُّ الأخلاق والعدل والحكمة، كونفوشيوس، الذي دعا إلى الله وتوحيده وكذا تم تحريف دعوته كما النبيين عبر العصور والأزمان.

***

21 .الطاوية والكونفوشيوسية ـــ الصين

في قلب الحضارة الصينية، ظهرت مدرستان فكريتان عظميان تركتا أثرًا عميقًا في وجدان الشعب وسلوكه، وهما: الطاوية (Daoism) التي نُسبت إلى لاوتسي، والكونفوشيوسية (Confucianism) التي قامت على تعاليم كونفوشيوس. وقد بدتا في الظاهر فلسفتين متقابلتين، إحداهما تميل إلى الطبيعة والسكينة، والأخرى إلى النظام والأخلاق، لكنهما في العمق كانتا محاولتين لفهم النظام الكوني، وإعادة الإنسان إلى التوازن، والفضيلة، واحترام القانون الأعلى الذي يُحكم به الوجود.

رأى الطاويون في الطاو (Dao) المبدأ الأعلى، الأصل الأول الذي لا يُرى ولا يُوصف، لكنه يُدبّر كل شيء، ويجري في الأشياء كما يجري الماء في الوادي. والطاو، عند لاوتسي، هو الطريق، هو الوجود الكلي، وهو قبل الأسماء، فوق التصورات. أما الكونفوشيوسية، فقد أعادت الاعتبار للأخلاق الاجتماعية، وربطت الفضيلة بالتقوى، والحكم بتفويض السماء (تيان).
وكونفوشيوس، وإن لم يتحدث عن الإله بصيغة شعائرية، فقد أعلن بوضوح أن السماء ترى وتسمع وتُجازي، وأنها تحب الصالحين وتمنحهم التأييد.

الرموز الكبرى في الطاوية والكونفوشيوسية ونظائرها من الصفات الإلهية:

1 .الطاو(Dao)

الوصف: الطريق الأعظم، الأصل الكامن، المبدأ الخفي، هو الذي وُجد قبل كل شيء، ولا يمكن إدراكه بالحواس.

نظيره من الصفات الإلهية: رب العالمين الصمد — الكائن الأزلي، المدبّر، مصدر الخلق والغاية, والطاوي.

2 .التي(Te)

الوصف: الفضيلة التي ينبثق منها كل خير، الأثر الذي يتركه الطاو في العالم والناس، وهي بمثابة القدرة الإلهية الأخلاقية.

نظيرها من الصفات الإلهية: الرحمن — الذي يفيض على الخلق بالقوة والبركة دون طلب، ويجري فيهم بغير عناء.

3 .الجن(Ren)

الوصف: في الكونفوشيوسية، تعني الرحمة والمحبة التي يجب أن تسود بين الناس، وتعني أيضًا النزعة إلى الخير.

نظيرها من الصفات الإلهية: الرحيم — الذي يعامل خلقه باللطف، ويكافئ المحسنين، ويثيب الضعفاء.

4 .تفويض السماء(Mandate of Heaven)

الوصف: الاعتقاد بأن السلطة لا تُمنح إلا لمن يستحقها، وأن السماء تُسقط من يُفسد وتؤيد من يُصلح.

نظيره من الصفات الإلهية: مالك يوم الدين — الذي يحكم بين الناس، ويجزي كلاً بما عمل، وينصر العدل ويزيل الجور[22].

---

[22] المصادر:

Tao Te Ching — Laozi

Analects — Confucius

خلاصة رمزية توحيدية:

إن الطاوية والكونفوشيوسية، رغم أنهما لا تستخدمان ألفاظ العقيدة الصريحة كما في الأديان السماوية، إلا أنهما تحملان مضمونًا توحيديًّا عميقًا، يرتكز على أن وراء هذا الكون نظامًا خفيًّا، مصدره علوّي، حكيم، رحيم، وعادل. فالطاو ليس إلا اسمًا شعريًّا للمطلق الإلهي، والسماء التي تمنح التفويض وتحب الصالحين ليست إلا صورة من صور ربٍّ عليم بصير. وقد رأى لاوتسي في الطاو صمتًا مقدسًا، ورأى كونفوشيوس في السماء ضميرًا أعلى يحاسب ويكافئ.

ومع مرور الزمن، بدأت فكرة الآلهة المتعددة التي سادت في الصين القديمة والتبت تتلاشى شيئًا فشيئًا، وبدأ الناس يقتربون من التوحيد، ويعبّرون عن الإله الواحد بمفاهيم رمزية مثل الطاو والتيان. ولكن، كما فعلت الأمم من قبل، تعثّرت البشرية مجددًا، فعبدوا الوسائط والرموز، وجعلوا من الحكمة إلهًا، ومن القيم كائنات، وأشركوا بالواحد صورًا مشتتة، فغاب الإله الحقيقي وراء الفلسفة والشعر.

***

خلاصة:

في هذا الفصل، رأينا كيف سارت الصين والتبت في طريق طويل من التأمل والبحث عن الحقيقة الكبرى، من عبادة السماء في العصور الملكية، إلى فلسفات الطاو، ثم إلى إصلاحات كونفوشيوس، فإلى بوذية غارقة في الرموز، متألقة في الإشارات.

لقد بدأت هذه الشعوب في التخلي التدريجي عن تعدد الآلهة التي عرفها القدماء، وبدؤوا يقتربون من الإيمان بإله واحد خفي، لا يُدرك بالحواس، يُرمز إليه بالسماء، أو الطاو، أو بوذا النوراني، أو المبدأ الأعلى. لكن، وكما فعلت أمم كثيرة، حين غابت عنهم البصيرة النبوية، وقعوا في خلط الأسماء بالحقائق،

Legge, James. The Chinese Classics

Chan, Wing-Tsit. A Source Book in Chinese Philosophy

والأمثال بالمعبودات. فصار الطريق نفسه يُعبد، وصار التأمل إلها، والحكمة كيانًا، والرحمة مجسمًا، وعبّروا عن الله بألف وجه... دون أن يروه وجهًا واحدًا.

ومع ذلك، يبقى في هذا الفكر الشرقي نور توحيد خفي، يلوح من خلف الغيم، ويُنذر بأن في كل قلب توقًا إلى الواحد، وفي كل فلسفة ظلًّا من أنوار الوحي. فالسماء التي تمنح التفويض ليست إلا مرآة للرب العلي، والطاو الذي لا يُسمى هو الرب الذي لا تدركه الأبصار، و"أميتابها" النوراني، ما هو إلا رمز لربّ العالمين، الذي ينادي البشر منذ الأزل: "ففروا إلى الله."

وهكذا، نجد أن الحضارات الصينية والتبتية، على اختلاف مراحلها، كانت شاهدة على حركة البشرية بين الإشراك والتوحيد، بين الفطرة والغفلة، وأنها، كغيرها، كانت تنتظر رسولًا يردها إلى الأصل، ويقول لها: الله أحد، لا طاو سواه، ولا سماء تُفوض من غيره، ولا نور إلا من نوره.

***

الفصل السادس: حضارات آسيا الصغرى والوسطى

23 .حضارة أورارتو (860–590 ق.م) — شرق تركيا وأرمينيا

في قلب المرتفعات الشرقية من الأناضول، وعلى ضفاف بحيرة وان، نشأت حضارة أورارتو، إحدى أقدم الممالك التي عرفتها منطقة أرمينيا التاريخية وشرق تركيا. ورث الأورارتيون الكثير من التقاليد

الدينية عن الحيثيين والسومريين، لكنهم أعادوا بناء منظومتهم الروحية على أساس من تمجيد قوى الطبيعة، وخاصة الجبال والمياه، وعبادة الإله الأعلى الذي يشرف على النظام الكوني.

كانت مملكة أورارتو دولة عسكرية ذات طابع ديني قوي، وكان المعبد يشغل مكانة مركزية في المدينة. وكان ملوكها يتقرّبون إلى الآلهة بالقرابين والصلوات، ويتفاخرون بأنهم ينالون النصر بتوفيق إلههم الأكبر.

أعظم أربعة آلهة في حضارة أورارتو ونظائرها من الصفات الإلهية:

1 .خالدِي — (Ḫaldi) الإله الأعلى والحامي الملكي

الوصف: إله الحرب والسيادة، يُعد رب المملكة، ومصدر النصر والسلطان، يُمثَّل واقفًا على أسد، ويحاط بالتبجيل الأعظم.

نظيره من الصفات الإلهية: رب العالمين — الذي يُملك الملوك، ويهب النصر، ويُدبّر شؤون الخلق.

2 .آرديني — (Ardini) إله الشمس والنور

الوصف: يمثل النور والحق، كان يُعبد في مدينة تحمل اسمه، ويُعتبر رمز الحياة والنظام.

نظيره من الصفات الإلهية: الرحمن النور — الذي يفيض بالنور والبركة على الخلق بلا مقابل.

3 .سيلاردِي — (Shivini) إله الرحمة والنبات

الوصف: إله مرتبط بالزراعة والنماء، ويُستدعى للبركة والخيرات.

نظيره من الصفات الإلهية: الرحيم — الذي يرزق ويغني، ويثيب ويبارك.

4 .توشبا — (Tushpa) إله العدل والماء

الوصف: إله ينسب إليه الحفاظ على النظام وحماية المدن، يرتبط بالماء والنقاء.

نظيره من الصفات الإلهية: مالك يوم الدين العادل — الذي يزن الأمور ويُجري العدل، ويطهر القلوب.

آلهة أخرى في أورارتو ونظائرها:

آياني :(Ayanis) إلهة الجبل المقدّس، رمز القوة والاستقرار — نظيرها: المتين، الجبار.

سيلبوشي :(Selbushi) إله الخصب والدوام — نظيره: الرزاق، الباقي.

تِيشِيب :(Teisheba) إله العاصفة والرعد — نظيره: القهار، المهيمن[23].

خلاصة رمزية توحيدية:

لم تكن آلهة أورارتو سوى تجلّيات رمزية لصفات الله، تُعبّر عنها الجبال الشاهقة، والشمس الساطعة، والمياه النقية، والملك العادل. لقد حاول شعب أورارتو أن يفهم عظمة الإله من خلال الطبيعة، فسمّى هذه الصفات آلهة، وعبدها متفرقة، ونسوا أن الأصل واحد. ومع الوقت، تحولت الصور إلى معبودات، وعلت الأصنام فوق المعاني.

لكن التأمل في هذه الرموز يكشف أنها إشارات فطرية نحو التوحيد، تعثرت في التعبير، لكنها حافظت على جوهر البحث عن الله الواحد، الذي وحده يُعطي الملك، ويرزق، ويهدي، ويحاسب.

***

[23] المصادر:

The Kingdom of Urartu – Cambridge Ancient History

Piotrovsky, Boris. The Ancient Civilization of Urartu

موسوعة تاريخ الأناضول

24 .الحضارة السيثية (800–300 ق.م) — أوراسيا

على امتداد سهوب أوراسيا الواسعة، من البحر الأسود إلى حدود الصين، برزت الحضارة السيثية بوصفها حضارة محاربين رحّل، تركوا أثرًا عميقًا في التاريخ والرمزية الدينية للشعوب الهندو-إيرانية. وقد امتاز السيثيون بتقديسهم لقوى الطبيعة، وارتباطهم بالشمس والنار والسماء والعدالة السماوية، وعبّروا عن هذا التقديس من خلال منظومة آلهة تجسّد صفات متفرقة من القوة والإشراق والخلود.

ورغم بدائية بعض رموزهم، إلا أن التأمل فيها يكشف عن بقايا توحيدية غائرة، تُظهر أن الإنسان الفطري، حين يُواجه العظمة، لا يملك إلا أن يُقدّس، لكنه قد يضل في التعبير فيصوغ ذلك التقديس في صورة آلهة متعددة.

أعظم أربعة آلهة في الحضارة السيثية ونظائرها من الصفات الإلهية:

1 .تابيتي — (Tabiti) إلهة النار المقدسة والرعاية الإلهية

الوصف: تُعد الإلهة الكبرى لدى السيثيين، وهي رمز النار الأبدية، والحماية، والدفء، وهي مركز العبادة في الخيام والمعابد.

نظيرها من الصفات الإلهية: رب العالمين — الذي يحفظ الخلق، ويوقد النور في حياتهم.

2 .باباي — (Papaios) إله السماء

الوصف: يُعد شريك تابيتي وقرينها في الأساطير، يمثل القوة العليا في السماء، ويرتبط بالخلق والعلو.

نظيره من الصفات الإلهية: الرحمن — الذي يفيض من فوق، ويمنح الحياة ويحيط بالكون.

3 .آرغيمباسا — (Argimpasa) إلهة الخصوبة والقمر

الوصف: إلهة تُرتبط بالخصب والنساء والقمر، وهي تُعبَّد في طقوس لطلب النماء والنعمة.

نظيرها من الصفات الإلهية: الرحيم — الذي يفيض بالنعمة ويعتني بالضعفاء والنسل.

4 .ثيريماسادا — (Thagimasadas) إله العدالة والنهر السماوي

الوصف: إله يرمز للمياه المقدسة، يُعتقد أنه يحمي المحاربين ويُجري القضاء في الأرض.

نظيره من الصفات الإلهية: مالك يوم الدين الحافظ— الذي يُنزل العدل ويحمي المظلومين.

آلهة أخرى في حضارة السيثيين ونظائرها:

جويتوسيروس :(Goitosyrus) إله الشمس، يُعبد رمزًا للنور — نظيره: النور، الشهيد.

أبي :(Api) إلهة الأرض — نظيرها: النور الباسط، المالك.

أكسيارتس :(Axsiartes) إله الحرب والحماية — نظيره: العزيز، القوي[24].

خلاصة رمزية توحيدية:

كان السيثيون، كغيرهم من شعوب العصور الأولى، يعبدون مظاهر الطبيعة التي رأوا فيها قوى خارقة، فعبدوا النار والسماء والماء، وسمّوها آلهة. لكن كل واحدة من هذه لم تكن في حقيقتها سوى رمز لصفة من صفات الله. فالنار رمز الحياة والرعاية، والسماء رمز العلو والرحمة، والماء رمز الطهر والعدالة.

وإذا جمعنا هذه الرموز في قلب واحد، نراها تشير إلى ربٍّ واحد، عظيم، كريم، حكيم، عادل .

***

[24] المصادر:

Herodotus, Histories – Book IV

Ivantchik, Askold. "Scythians" – Encyclopaedia Iranica

Harmatta, János. History of Civilizations of Central Asia

25 .حضارة الترك والمانشو والمغول — آسيا الوسطى وشمال شرق آسيا

في سهوب آسيا الوسطى ومرتفعات منشوريا، نشأت شعوب تركية ومغولية ومانشوية، امتزجت فيها البداوة بالقوة، والرمز بالأسطورة، والديانة بالهوية. ورغم اختلاف اللغات والانتماءات، جمعت هذه الشعوب عقائد تشترك في عبادة قوى الطبيعة، مثل السماء الكبرى (تنغري)، والأرض، والنار، والماء، مع طقوس شمانية تتوسط العلاقة بين البشر والكون، وتتوسل إلى الأرواح الخفية.

ومع أن هذه الديانات لم تكن توحيدية ، فإنها كانت تحمل بقايا عميقة من إدراك الإله الواحد، الذي فُهم أحيانًا بوصفه "السماء العليا" التي لا تُرى، لكنها تُدبّر كل شيء، وتعاقب وتنصر، وتمنح وتمنع، وهو ما يشير إلى محاولة التوحيد قبل أن يتشوش التعبير.

أعظم أربعة آلهة رموز في حضارة الترك والمانشو والمغول ونظائرها من الصفات الإلهية:

1 .تنغري — (Tengri) إله السماء العليا

الوصف: يُعد الإله الأعلى لدى الأتراك والمغول، رمز العلو والسلطان، مصدر النصر والعدل، لا يُجسَّد ولا يُرى، بل يُبجَّل بوصفه الحاكم الخفي للكون.

نظيره من الصفات الإلهية: رب العالمين — المدبّر الأعلى، العليّ الذي بيده الملك والقدر.

2 .إيتوغن — (Itügen) إلهة الأرض الأم

الوصف: ترمز للأرض الخصبة، الأم الحاضنة، مصدر الغذاء والاستقرار.

نظيرها من الصفات الإلهية: الرحمن — الذي يفيض بالنعم والحياة والرزق بلا طلب.

3 .أود — (Od) إله النار المقدسة

الوصف: يُقدَّس في طقوس الشامان، وهو رمز الطهارة والقرب، تُوقد له النيران، ويُستدعى في الملمات.

نظيره من الصفات الإلهية: الرحيم — الذي يُطهر ويقرب ويرزق من في الأرض.

4 .أرليق خان — (Erlik Khan) سيد العالم السفلي والجزاء

الوصف: يُمثل القاضي في العالم الآخر، يحاسب الأرواح بعد الموت، ويرتبط بالمصير والميزان.

نظيره من الصفات الإلهية: مالك يوم الدين — الذي يفصل بين الخلق، ويجزي كل نفس بما كسبت.

رموز أخرى ونظائرها:

بوروخان :(Burkhan) كائن روحي عالٍ في الشامانية — نظيره: العلي، القدوس.

تويا :(Toya) إله الماء — نظيره: اللطيف، المغيث.

كايجاي :(Kayray) الروح العليا، إله الحكمة الخفية — نظيره: الحكيم، الباطن[25].

خلاصة رمزية توحيدية:

في عمق هذه العقائد المتناثرة، نجد نداءً قديمًا إلى الإله الواحد، وإن تعددت أسماؤه. كان تنغري هو الاسم الأعلى، لكنه لم يكن صنمًا ولا مجسمًا، بل قوة خفية تملأ السماء، يُنسب إليها النصر والخسارة،

[25] المصادر:

Golden, Peter B. An Introduction to the History of the Turkic Peoples

Roux, Jean-Paul. La Religion des Turcs et des Mongols

Encyclopedia of Shamanism – Gale

والحياة والموت. وكل ما عداه من رموز، لم تكن إلا صفات لله، تنزلت في صور النار والماء والأرض والميزان، كما حدث في سائر الأمم.

لقد عبد الترك والمغول مظاهر الله في الكون، لا الله ذاته. فهم أدركوا أن فوقهم قوة، لكنهم وزّعوها على الرموز، وأضفوا على الطبيعة لاهوتًا، وغابت عنهم شمس التوحيد الصريح. ومع ذلك، بقيت الفطرة حيّة فيهم، تنتظر من يُعيدها إلى الأصل، ويقول لهم: تنغري واحد، لا يُشرك معه أحد، هو الله، رب السموات والأرض وما بينهما، الحكيم، العليم، العلي الكبير.

***

خلاصة:

في هذا الفصل، تتبّعنا سيرة شعوب الشرق الأعلى، من جبال أورارتو إلى سهول السيثيين، ومن قبائل الترك إلى أجنحة المغول. ورأينا كيف أن هذه الحضارات، رغم بداوتها أو بأسها أو غموضها، لم تكن تخلو من بقايا محاولات استكشاف الاله. عبدوا النار، والشمس، والسماء، والماء، كانت الفطرة تصرخ باسم الخالق، لقد تعددت الأسماء: خالدِي، تابيتي، تنغري، باباي، وكلها ما هي إلا أقنعة لصفات الإله الواحد. إنهم، كغيرهم، جهلوا أن الأسماء تجتمع في اسم الله، وأن الصفات تنبع من ذاته، فراحوا يوزعون التقديس على الخلق، كما فعلت سائر الأمم من قبلهم.

لكن ما ميّز هذه الشعوب أن بعضها، كالسكان الأصليين للترك والمغول، قد بلغ من السمو ما جعله يؤمن بإله عالٍ لا يُرى، ولا يُجسَّد، ولا يُعبد إلا بخشوع، وهو ما يؤكده توارث اسم تنغري بوصفه الإله الأعلى، الذي لا يُشاركه أحد.

ومع أن التوحيد لم يُعلن صريحًا، ولم تُعرف الشريعة كاملة، إلا أن الأثر كان موجودًا، والنداء كان حاضرًا، ينتظر من يبعثه من جديد، ويقول لتلك الشعوب: ربكم واحد، وما هذه القوى التي تهابونها إلا مخلوقات من خلقه، وصفات من صفاته. فهو رب العالمين، الرحمن، الرحيم، مالك يوم الدين.

***

الفصل السابع: حضارات اليونان والرومان

26 الحضارة المينوسية (2700–1450 ق.م) — كريت

في حضارة كريت المينوسية، اعتمد الناس على رموز طبيعية لتفسير قوى الكون؛ فقد برز رمز الثور المقدس، الذي كان يُعبَّد كتجسيد للقوة والحياة والخصوبة. رغم أن هذه العبادة كانت نابعة من محاولة بشرية لفهم الجانب الحيوي في الطبيعة، فإنها لا تقترب من حقيقة الصفات الإلهية الكاملة.

أهم الآلهة الرمزية في حضارة كريت:

الثور المقدس:

يُمثل رمز القوة والخصوبة؛ ويُستعان به لتجسيد فكرة العطاء والطاقة الطبيعية.

المقارنة الرمزية: يُمكن ربطه بشكل رمزي بصفة الرحمن، إذ يعطي الحياة بوفرة، لكنّه يظل تجسيدًا ناقصًا ولا يشمل القدرة المطلقة التي يتمتع بها الله.

إلهة الأرض/الخصوبة (على سبيل المثال، رمزًا يُطلق عليه اسم "ماتا")

تُجسّد رعاية الأمومة والبيئة، وتعبر عن التغذية والدفء.

المقارنة الرمزية: تقابلها صفة الرحيم، التي تشير إلى العناية والحنان، لكن بدون الإدراك الكامل لمعاني الحنان الإلهي.

إله الشمس (رمزيًا، "أورينا" مثلاً)

يرمز إلى النور الذي يُنير الكون، ومع ذلك يُستعار منه مفهوم السلطة التي تحكم النظام الكوني.

المقارنة الرمزية: يمكن اعتباره انعكاسًا جزئيًا لصفة رب العالمين، التي تُمثّل السيادة الكونية، ولكن دون شمولية القدرة المطلقة.

إله النظام والعدالة (قد يُطلق عليه اسم "درازوس" مثلاً)

يُعبّر عن النظام الطبيعي وأسرار القدر، وهو رمز يُستعان به للتعبير عن الجانب المُرتب للكون.

المقارنة الرمزية: نظيره صفة مالك يوم الدين التي تدل على القضاء والعدالة النهائية؛ إلا أنّ هذا التقسيم يظل محدودًا بشرطٍ لا يُعبر عن الحكم الإلهي المتكامل[26].

***

[26] المصادر العامة للحضارات

1. The Oxford Classical Dictionary

من أهم المراجع الكلاسيكية حول الحضارات الإغريقية والرومانية،

صادر عن.Oxford University Press

يحتوي على مقالات علمية حول الدين، الأساطير، السياسة، والثقافة.

2. Cambridge Ancient History – Volumes V–VIII

موسوعة تاريخية مرجعية، تغطي تطورات الحضارات في كريت، اليونان، وروما من العصور البرونزية إلى نهاية الإمبراطورية الرومانية.

3. History of the Ancient World by Susan Wise Bauer

يقدم سردًا سرديًا متسلسلًا للحضارات القديمة، بما فيها المينوسية والميسينية.

27الحضارة الميسينية (1600–1100 ق.م) — اليونان

في الحضارة الميسينية، بدأت تتبلور أسماء الآلهة الأولى التي انعكست لاحقًا في الميثولوجيا الأولمبية. قدم البشر تسميات لعناصر الطبيعة الأساسية، مستعرضين بذلك تجليات بسيطة من صفات الله رغم محدودية إدراكهم.

أهم الآلهة الرمزية في الحضارة الميسينية:

زيوس البدائي:

يمثل شخصية إله السماء والرعد، الذي يُعبّر عن القوة العليا في النظام الكوني.

المقارنة الرمزية: يُرتبط بصفة رب العالمين، إذ يُنظر إليه كمالك وسيد للأمور، لكنّه في الحقيقة مجرد صورة جزئية.

بوسيدون:

إله البحر الذي يتحكم في أمواج المياه والفيضانات، معبّرًا عن قوة الطبيعة المتجددة.

المقارنة الرمزية: يُقارب صفة الرحمن؛ إذ يمنّ بالخصوبة والعطاء عبر المياه، لكنّه لا يشمل رحمةً بالقدر الكلي.

ديميتر:

إلهة الزراعة والنماء، تُظهِر قدرتها على إنماء الأرض وتغذيتها.

المقارنة الرمزية: نظير صفة الرحيم من حيث رعاية الخلق وتوفير الغذاء، مع بقاء ذلك حصرًا في ميدان الطبيعة.

هاديس:

إله العالم السفلي الذي يُعنى بالقدر والمصير، ويُصور الجانب الغامض للعالم بعد الحياة.

المقارنة الرمزية: يُمثّل صفة مالك يوم الدين، لكنّه لا يُظهر عدالته المطلقة كما يقرّها التوحيد الإسلامي[27].

***

28 الحضارة الإغريقية (800–146 ق.م) — اليونان

في الحضارة الإغريقية، بلغت الأساطير ذروتها مع تصوير مجموعة من الآلهة التي نشأت لتغطية مختلف جوانب الحياة والطبيعة. ورغم رُقي الفكر الفلسفي، ظلّ الإنسان ينظر إلى الصفات الإلهية من خلال صور ورموز متفرقة.

أهم الآلهة الرمزية في الحضارة الإغريقية:

زيوس:

ملك الآلهة وحاكم السماوات، يُعبّر عن السيطرة الكونية والقدرة المطلقة.

المقارنة الرمزية: يُنظر إليه كمُجسّد لصفة رب العالمين، وإن كان محدودًا في طبيعته كبشرية الشكل.

---

[27] المصادر المتعلقة بالميثولوجيا (الأساطير والآلهة)

4. The Greek Myths by Robert Graves
مرجع شامل للأساطير الإغريقية وتحليلها الرمزي والثقافي.

5. Mythology: Timeless Tales of Gods and Heroes by Edith Hamilton
كتاب كلاسيكي يُستخدم على نطاق واسع لفهم الأساطير الإغريقية والرومانية بأسلوب مبسط وتحليلي.

6. Theoi.com
موقع أكاديمي متخصص بالميثولوجيا اليونانية، يحتوي على نصوص كلاسيكية، تفسيرات، وسير للآلهة حسب المصادر القديمة مثل هوميروس وهيسيود.

أبولو:

إله النور والشفاء والموسيقى، يعطي للكون إشراقًا وحكمةً تُلهب العقول.

المقارنة الرمزية: يقارَن بصفة الرحمن والنور، فهو يجود بالنور والعطاء، لكن بصور متقطعة لا تَكتمل في تجسيد الرحمة الإلهية الكاملة.

أثينا:

إلهة الحكمة والعدل والرحمة، تُظهِر عمق الحكمة البشرية وقدرتها على تدبير الأمور.

المقارنة الرمزية: تُضرب لها المثل في صفة الرحيم الحكيم، إذ ترعى الناس بحكمة ناعمة، دون أن تشمل كل الجوانب اللامتناهية لهذه الصفة.

هاديس:

الذي يحتل منصب الحاكم في العالم السفلي، ويرمز إلى مصير الأرواح والعدالة المطلقة في الحساب.

المقارنة الرمزية: يُرتبط بصفة مالك يوم الدين والمميت، إلاّ أنّ صورته تبقى محدودة أمام حقيقة النظام الكوني الكامل.

***

29الحضارة الرومانية (753 ق.م–476 م) — إيطاليا وأوروبا

اعتمدت الحضارة الرومانية إلى حدٍ كبير على الميثولوجيا الإغريقية مع تعديل أسماء الآلهة لتناسب

السياق الثقافي للراهبين والرومان، ما أدى إلى ظهور رموز تعبّر عن جوانب مختلفة من القوى الكونية.

أهم الآلهة الرمزية في الحضارة الرومانية:

جوبيتر:

نظير زيوس، هو ملك الآلهة وسيد السماوات، الذي يرمز إلى السلطة الكاملة والنظام الكوني.

المقارنة الرمزية: يُرتبط بصفة رب العالمين، حيث يُمثل السلطة الأبدية، وإن كان صورته رمزيةً ولا تفي بكل معاني السيطرة الإلهية اللامتناهية.

فينوس:

إلهة الحب والجمال، تُظهِر قدرة الجمال والعاطفة على توحيد النفوس وتلطيف العلاقات.

المقارنة الرمزية: تُستعان بها في مجاهيل صفة الرحيم، إذ يُنظر إليها كمن يمد نعمة العطف والعناية، وإن كانت صورةً جزئيةً للحب الإلهي.

مارس:

إله الحرب والصراع، الذي يتجلى فيه جانب القوة والدفاع عن الدولة والنظام.

المقارنة الرمزية: قد يُستعان به كتجسيدٍ رمزيٍ لصفة الرحمن من ناحية أن قوته تحافظ على النظام الكوني، ولكن هذه القوة تتواجد بظلال من الشدة لا تكتمل بعطاء الرحمة المطلقة.

بلوتو:

الذي يُعرف بنظير هاديس، وهو المُهيمن على العالم السفلي، ومُعبرٌ عن مصير الأرواح وآخر حساب.

المقارنة الرمزية: يُقارن مباشرةً بصفة مالك يوم الدين والمميت، إذ يعكس مفهوم الحساب والعدل في مصير الخلق، مع بقاء صورةً رمزيةً لا توفي حقيقة العقوبة والجزاء الإلهي المتكامل[28].

---

[28] المصادر المتعلقة بالديانة والمعتقدات القديمة

7. Gods and Heroes of the Greeks: The Library of Apollodorus
أحد أقدم المصادر النصية التي جمعت الأساطير الإغريقية.

8. The Religion of the Greeks and Romans by H. J. Rose
يشرح الطقوس والمعتقدات الدينية في اليونان وروما، ويحلل تطور مفهوم الإله والعبادة.

30 الديانة الرومانية والهلّينية وتعدد الآلهة

لقد كانت هذه الديانات التي اعتمدت على تعدد الأسماء والرموز بمثابة محاولات بشرية لتفسير أعماق الظواهر الكونية والطبيعية. فكيف لا، وقد كان الإنسان في تلك الفترات ينظر إلى قوى مثل النور والخصوبة والعدالة كصورٍ مادية قاصرة عن استيعاب الحقائق الإلهية الشاملة؟

وبالرغم من تنوع الأسماء والرموز كالتي ذكرناها – من الثور المقدس إلى زيوس وجوبيتر – فإنها كلها كانت تجسيدًا ناقصًا لما هو حقًّا صفات الله السماء. إن الأسماء والرموز هذه لم تكن تحمل معاني الوحدة والرحمة المطلقة التي يتميز بها الخالق الواحد، وإنما كانت انعكاسًا محدودًا لمحاولة بشرية استنصرت بسطاء الفطرة.

الخلاصة التوحيدية:

إن ما توصلت إليه الحضارات القديمة في محاولاتها لتمثيل قوى الكون لم يكن هو حقيقة الصفات الإلهية الكاملة؛ فهي مجرد صور جزئية لمفاهيم سامية لا تقتصر على التقسيمات المادية. فكل هذه الرموز، سواء كانت تجسيدًا للقوة المطلقة كالتي تنطق بها آلهة مثل زيوس وجوبيتر، أو للرحمة التي

---

9. The Cult of the Gods in the Greek Polis by Mikalson, Jon D.
يناقش البُعد السياسي والديني للعبادة في الدولة-المدينة اليونانية.
10. Roman Religion by Valerie M. Warrior
مرجع أكاديمي مختصر عن تطور الديانة الرومانية وتعدد الآلهة.

حاول التعبير عنها عبر فينوس أو الأبولو، أو لأهمية الحساب والعدل كما في هاديس وبلوتو، كلها تنحني أمام حقيقة واحدة: أن الله تعالى هو ربُّ العالمين، الرحمن الرحيم، ومالك يوم الدين.

وهذه الصفات الإلهية لا تحتاج إلى صور أو أسماء متفرقة، بل تتجلى في وحدة الخالق الذي يحيط بالكون بسلطانه اللامحدودة ورحمته الواسعة وعدالته المطلقة، وهو الحق الذي جاء الإسلام ليكشفه ويعلنه، ويعيد إلى البشرية فطرة التوحيد السليمة بعيدًا عن رموزٍ ودلالات سطحية.

بهذا نكون قد استعرضنا، حضارةً حضارةً، أبرز محاولات الإنسان المبكرة لفهم قوى الطبيعة، وتذكرنا أن كل هذه الصور الرمزية كانت مجرد دربٍ معبّدٍ بجهلٍ محدود، بينما الحقيقة الكاملة تكمن في توحيد الألوهية تحت اسم واحد عظيم لا يشبهه شيء.

***

خلاصة:

تُظهر حضارات اليونان والرومان صورةً متقنة لتطور الفكر الديني في حوض المتوسط، حيث عبّر الإنسان القديم، من خلال الرموز والآلهة، عن إدراكه الفطري لصفات الله العظمى، وإن زلّ فعبد صورًا منها عن جهل. فقد توزعت الآلهة الكبرى في هذه الحضارات على معانٍ سامية مثل السيادة، والحكمة، والرحمة، والعقاب، مما يدل على شعور داخلي بأن الكون لا يسير عبثًا، بل تحكمه صفات إلهية عليا.

في الحضارة المينوسية، تجلّت سطوة "الإلهة الأم" كرمز للخلق والخصب، فيما ظهر "إله الثور" كرمز للقوة الحامية — انحراف عن إدراك "الرحمن" و"رب العالمين"، لكن فيه صدى لتلك الصفات.

أما في الميسينية، فقد ارتبطت السلطة بـ"بوسيدون" سيد الزلازل والبحار، الذي يرمز إلى ملكية الأرض والهزات الكبرى، بينما بدأت تظهر ملامح التخصص الإلهي — كما في "أرتميس" التي تعني الرحمة والرعاية.

ثم نضج هذا النظام الديني مع الإغريق، فظهرت منظومة الأولمب كمرآة لصفات الله: "زيوس" حاكم السماوات (رب العالمين)، "أبولو" النور والحكمة (الرحمن)، "أثينا" العقل والرحمة (الرحيم)، و"هاديس" سيد العالم السفلي (مالك يوم الدين).

وقد ورث الرومان هذا البناء، فسمّوا الآلهة بأسماء أخرى، دون أن يغيّروا مضامينها، فجاء "جوبيتر"، و"مارس"، و"فينوس"، و"بلوتو" استمرارا لهذه الصفات، وإن لبسَت طابعًا قوميًا حربيًا.

كل هذه الآلهة كانت مرايا مشوّهة لصفات الله الواحد، ونتجت عن محاولة الإنسان القديم فهم الكون من حوله، قبل أن ينضج وعيه بنور التوحيد. وفي تعددهم عبّروا عن وحدة خفية، إذ لم يكن تعددهم إلا توصيفًا بشريًا ناقصًا للصفات الإلهية، وليس للآلهة المتعددة في ذاتها.

***

الفصل الثامن: حضارات أوروبا الشمالية والغربية

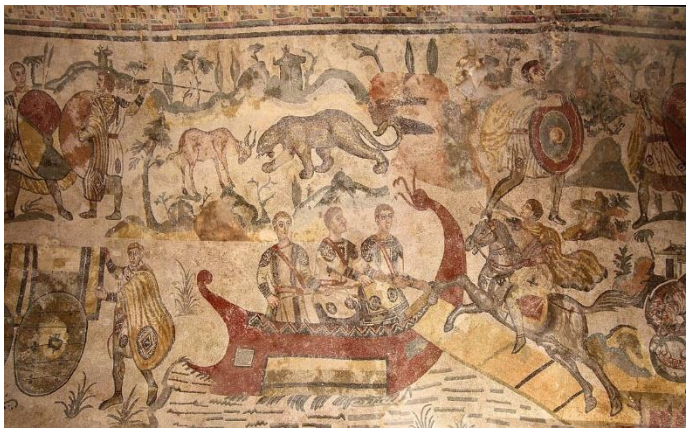

31 .حضارة الكلت (1200 ق.م – 600 م) — أوروبا الغربية

تميّزت ديانة الكلت بتصور طبيعي وروحي للعالم، حيث عبدوا آلهة متعددة تعبّر عن قوى الطبيعة والسماء، وكانوا يربطون بين الحياة والموت، والخصوبة والحرب، بالحكمة الفطرية التي تدرك حضور الله في كل شيء. ورغم التعدد، فقد ظهرت ملامح واضحة للصفات الإلهية العليا.

أعظم أربعة آلهة:

داغدا :(Dagda) إله السماء والعطاء والحكمة، يرمز إلى "رب العالمين" بما له من سلطة وقدرة وإعمار. وصفة المعطي والحكيم.

برجيت :(Brigid) إلهة الشفاء والخصب والشعر، ترمز إلى "الرحمن" في رعايته للضعفاء والمرضى, والشافي .

إيبو :(Epona) إلهة الخيول والرحمة والعناية بالمسافرين، تقابل "الرحيم , المسيّر والمسخّر."

موررِيغان :(Morrígan) إلهة الحرب والموت، تقابل "مالك يوم الدين" في تصورهم.

بقية الصفات الإلهية:

لوغ :(Lugh) إله النور والمهارة، يشير إلى صفة "النور العليم."

سيرنونوس :(Cernunnos) سيد الغابات والحيوانات، يقابل "القيّوم" في حضوره الدائم في الطبيعة[29].

***

[29] المصادر:

Green, Miranda. The World of the Druids. Thames & Hudson, 1997.

MacKillop, James. A Dictionary of Celtic Mythology. Oxford University Press, 2004.

32 .حضارة الإتروريين (900–100 ق.م) — إيطاليا

تُعد حضارة الإتروريين من أكثر حضارات إيطاليا غموضًا، لكنها تركت أثراً واضحاً في الديانة الرومانية. آمنوا بعالم غير مرئي تُديره قوى إلهية عليا عبر نظام نبوءات وإشارات سماوية، مما يدل على إدراكهم لسيادة ربانية خفية.

أعظم أربعة آلهة:

تينيا :(Tinia) الإله الأعلى، إله السماء والرعد، يقابل "رب العالمين و الأعلى ."

أوني :(Uni) زوجة تينيا، إلهة الخصب والحماية، تمثل "الرحمن."

مينرفا :(Menrva) إلهة الحكمة والفن، تقابل "الرحيم." الحكيم "

مانتو :(Mantus) إله العالم السفلي، يقابل "مالك يوم الدين" الباطن ".

بقية الصفات الإلهية:

ڤولثومنا :(Vulthumna) حاكم الأقدار، يشير إلى صفة "القدير."

ثيران :(Thesan) إلهة الفجر والنور، تقابل "النور[30]."

---

[30] المصادر:

De Grummond, Nancy Thomson. Etruscan Myth, Sacred History, and Legend. University of Pennsylvania Press, 2006.

Bonfante, Larissa. Etruscan Life and Afterlife. Wayne State University Press, 1986.

***

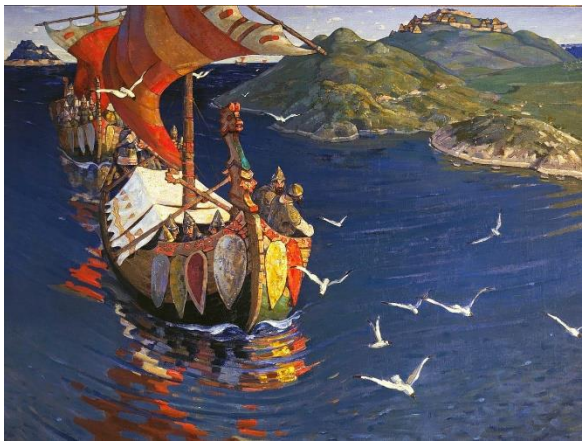

33 .حضارة الفايكنغ والجرمان (800–1100 م) — شمال أوروبا

تجلى في أساطير الفايكنغ تصور وجود إله أعلى، خفي القدرة، عارف بالمصير، مسيطر على عالم الآلهة والبشر. انطلقت معتقداتهم من وعي بالصراع بين الخير والشر، والنور والظلمة، وهو تعبير رمزي عن إدراك قُدسي للكون.

أعظم أربعة آلهة:

أودين :(Odin) الإله الأعلى، إله الحكمة والموت والنبوءة، يقابل " رب العالمين الأول، العلي , ."

فريا :(Freyja) إلهة الحب والخصب والرحمة، تقابل "الرحمن."

فرير :(Freyr) إله السلام والخصوبة، يقابل "الرحيم."

هيل :(Hel) سيدة العالم السفلي، تقابل "مالك يوم الدين" الباطن ".

بقية الصفات الإلهية:

ثور :(Thor) إله الحماية والرعد، يقابل "الجبار الحافظ ."

بالدر :(Baldr) إله النقاء والعدل، يقابل "العدل" و"السلام[31]."

***

[31] المصادر:

Larrington, Carolyne (trans.). The Poetic Edda. Oxford University Press, 1996.

Davidson, H. R. Ellis. Gods and Myths of Northern Europe. Penguin Books, 1964.

34 .الأساطير السلافية والبلطيّة

في أقصى شمال شرق أوروبا، عبّر السلاف والبلطيون عن رؤيتهم الروحية من خلال آلهة الطبيعة والنار والعدالة، وشكلوا منظومة تؤمن بإله خالق خفي له أبناء وأتباع في الطبيعة.

أعظم أربعة آلهة:

بيرون :(Perun) إله الرعد والسماوات، يقابل "رب العالمين ."

ماكوش :(Mokosh) إلهة الأمومة والخصوبة، تقابل "الرحمن."

لود :(Lada) إلهة الحب والوئام، تقابل "الرحيم."

ڤيليس :(Veles) إله العالم السفلي والموت، يقابل "مالك يوم الدين" المميت .

بقية الصفات الإلهية:

دازبوغ :(Dazhbog) إله الشمس والعطاء، يقابل "الرزّاق" و*"النور.*"

سڤاروج :(Svarog) إله النار والصناعة، يقابل "الخالق[32]."

[32] المصادر:

Ivanits, Linda J. Russian Folk Belief. M.E. Sharpe, 1989.

Gimbutas, Marija. The Slavs. Thames & Hudson, 1971.

***

خلاصة:

يُظهر هذا الفصل كيف أن شعوب أوروبا الغربية والشمالية، رغم تعدد آلهتها واختلاف رموزها، قد عبّرت في جوهر معتقداتها عن إدراك فطري للصفات الإلهية العليا، وإن شابها الجهل والتجسيم. فقد توزّعت مظاهر الألوهية في حضارات الكلت، والإتروريين، والجرمان، والسلاف، على أربعة محاور رئيسية تكرّرت بتنوّع الأسماء: الرب الخالق الحاكم، الإلهة الرحيمة الحامية، القوة المحبة المعطية، وسيد الموت والمصير.

ففي أساطير الكلت، برز "داغدا" كرمز للإله الأعظم، تقابله "برجيت" و"إيبو" و"مورريغان" في تجلّيات الرحمة والرعاية والمصير. أما الإتروريون فمثّل "تينيا" ربّ السماء والسيادة، في مقابل "أوني" و"مينرفا" و"مانتو". وفي أساطير الفايكنغ والجرمان، احتل "أودين" موقع السيادة والحكمة الإلهية، إلى جانب رموز الرحمة كـ"فريا" و"فرير"، وتجلّي الحساب في "هيل". كذلك عبّر السلاف والبلطيون عن إدراكهم للكون الخاضع لإرادة عليا عبر "بيرون" و"ماكوش" و"لودا" و"ڤيليس."

تُظهر هذه الأساطير أن العقل الإنساني، حتى في أقصى الشمال، لم ينفك عن التماس الصفات الإلهية العظمى، وإن غابت عنه أنوار الوحي التوحيدي. لقد تجلت صفة "رب العالمين" في إله السماء والسيادة، و"الرحمن" في الإلهة الأم الحانية، و"الرحيم"في رموز العطاء والحب، و"مالك يوم الدين"في آلهة الموت والعالم السفلي — مما يؤكد وحدة النزعة الروحية في كل الحضارات رغم اختلاف الصور والأسماء.

***

الفصل التاسع: حضارات أفريقيا جنوب الصحراء

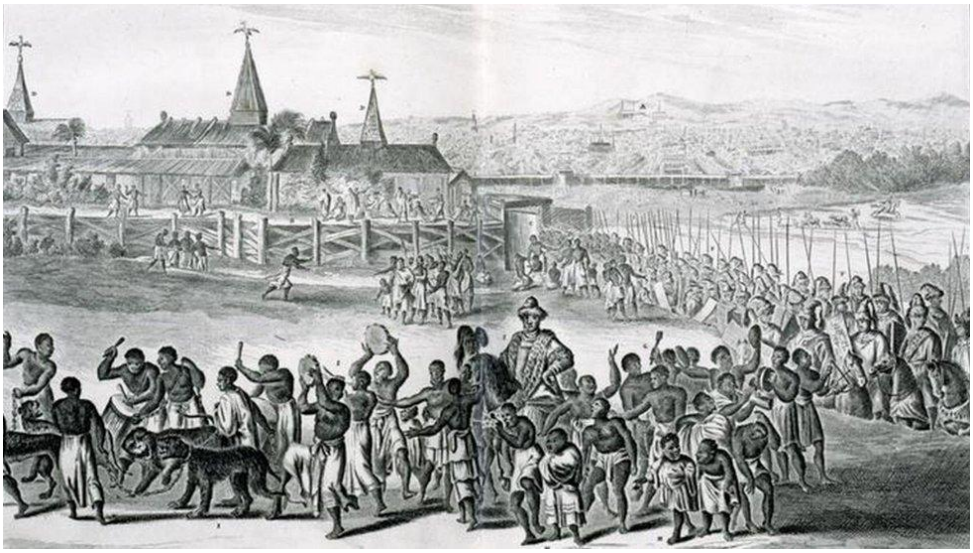

35 .حضارة اليوروبا — نيجيريا (من 500 ق.م فصاعدًا)

في أعماق القارة السمراء، ظهرت حضارات عظيمة حافظت على تقاليدها الشفهية والرمزية، وعبّرت عن تصوراتها الإلهية عبر طقوس وأساطير تكشف عن بقايا توحيد موروث. فرغم الطابع التعددي للآلهة، نجد صورًا مكررة للصفات الإلهية العليا التي تدل على ربٍّ واحد، خالقٍ، رحيمٍ، ومُسيطرٍ على المصير.

حضارة غنية بالأساطير والطقوس، قامت في غرب نيجيريا وامتد تأثيرها إلى بنين وتوغو، وتُعرف بنظام ديني متماسك وشعائر محكمة تُنقل شفهيًا. ترى العالم كنسيج من القوى الروحية المرتبطة بـ"أولورون" الإله الأعلى.

أعظم أربعة آلهة:

1 .أولورون — (Olórun) الإله الأعلى، خالق كل شيء، المناظر: رب العالمين العليّ الأول .

2 .أوباتالا — (Obàtálá) خالق الأجساد والبشر، المناظر: الرحمن الخالق .

3 .أوريشا أوكو — (Òrìṣà Ọ̀kò) رب الزراعة والمحاصيل، المناظر: الرحيم , المعطي .

4 .إيليغبا Èṣù) أو — Eshu) سيد القضاء والمصير والاختيار، المناظر: مالك يوم الدين

بقية الصفات الإلهية:

السميع الموحي: أورونميلا(Orunmila) ، إله الحكمة والإلهام الإلهي

القهار الجبار : شونغو(Ṣàngó) ، إله الرعد والقوة

اللطيف: أوشون(Ọ̀ṣun) ، إلهة الحب والخصوبة[33]

***

[33] المصادر:

Drewal, Henry J. Yoruba: Nine Centuries of African Art and Thought, Center for African Art, 1989.

Abimbola, Wande. Ifá: An Exposition of Ifá Literary Corpus, Oxford University Press, 1976.

36 .حضارة الإيغبو — نيجيريا (من 1000 ق.م فصاعدًا)

حضارة ذات طابع قبلي ولامركزي، لكنها حافظت على نظم روحية محلية تشير إلى إله واحد خفي يدعى "تشي" أو "تشوكوو"، مع آلهة فرعية تعبر عن صفات متفرعة.

أعظم أربعة آلهة:

1 .تشوكوو — (Chukwu) الإله الأعلى، خالق الكون، المناظر: رب العالمين العليّ الأول.

2 .ألا — (Ala) إلهة الأرض والأم الكبرى، المناظر: الرحمن مالك الملك .

3 .آميأديورا — (Amadioha) إله العدالة والرعد، المناظر: مالك يوم الدين العادل المقسط .

4 .إكوينسيو — (Ikenga) إله النجاح والشجاعة، المناظر: الرحيم القوي المعطي .

بقية الصفات الإلهية:

الحليم: نجوكو(Njoku Ji) ، إله الزراعة

الحكيم: أغانو ,(Agwu) إله الصحة والمعرفة الروحية[34]

***

[34] المصادر:

Uchendu, Victor C. The Igbo of Southeast Nigeria, Holt, Rinehart and Winston, 1965.

Metuh, Emefie I. African Religions in Western Conceptual Schemes, Imico Books, 1985.

37 .حضارات البانتو — وسط أفريقيا (1000 ق.م–الآن)

حضارة تمتد في مناطق شاسعة من وسط وجنوب القارة، تتشارك جماعاتها بتصور مشترك حول كائن أسمى يُعرف بـ"نزامبي" أو "موكومبو"، مع تكريم الأرواح والأسلاف.

أعظم أربعة آلهة:

1 .نزامبي مبونغو — (Nzambi Mpungu) الإله الأسمى، الخالق، المناظر: رب العالمين الخالق العليّ.

2 .ماويزا — (Mawiza) إله المطر والزراعة، المناظر: الرحمن المغيث، منزل المطر.

3 .كيتا نزامي — (Kita Nzambi) إله المعرفة والروح، المناظر: الرحيم الباطن العليم .

4 .كالمبا — (Kalumba) الإله الذي يحكم عالم الموتى، المناظر: مالك يوم الدين

بقية الصفات الإلهية:

العليم الموحي الباعث المُرسل : مبيلي(Mbeli) ، روح الرؤيا

الجبار القوي النصير : أنياني(Anyani) ، إله الحرب[35]

[35] المصادر:

Vansina, Jan. Paths in the Rainforests: Toward a History of Political Tradition in Equatorial Africa, University of Wisconsin Press, 1990.

MacGaffey, Wyatt. Religion and Society in Central Africa: The BaKongo of Lower Zaire, University of Chicago Press, 1986.

***

38 .حضارة الأشانتي — غانا (1600–1900 م)

حضارة متطورة سياسيًا وثقافيًا في غرب أفريقيا، جعلت من الإله "نيامي" محورًا للوجود، مع مجموعة من الأرواح الثانوية تُعرف بـ"أبوسوم."

أعظم أربعة آلهة:

1 .نيامي — (Nyame) الإله الأعلى في السماء، المناظر: رب العالمين العليّ .

2 .أسانتي بو — (Asase Yaa) إلهة الأرض والرحمة، المناظر: الرحمن مالك الملك .

3 .تانو — (Tano) إله المياه والنقاء والشفاء، المناظر: الرحيم الشافي .

4 .إيتشي — (Eji) إله القضاء والعدالة، المناظر: مالك يوم الدين العادل المقسط .

بقية الصفات الإلهية:

العدل الحافظ : آدو ,(Adu) إله الحماية

القدير: بوسومبري ,(Bosom Bire) روح الحرب[36]

[36] المصادر:

Rattray, R. S. Religion and Art in Ashanti, Oxford University Press, 1927.

Opoku, Kofi Asare. West African Traditional Religion, FEP International Private Limited, 1978.

***

39 .الديانات الأفريقية التقليدية كرمز للتوحيد الموروث

وراء الرمزية المعقدة والأساطير المتعددة، تبقى نواة التوحيد واضحة في إيمان هذه الشعوب بإلهٍ واحد أعلى، غير مرئي، خالق ومسيطر على الكون. بقية الآلهة لم تكن إلا رموزًا لصفاته أو وسطاء في تدبيره، مما يدل على بقايا إيمان موروث بإله واحد أحد، ودليل قوي على عطش الفطرة للاله الواحد.

***

خاتمة:

رغم ما حملته حضارات أفريقيا جنوب الصحراء من إشارات واضحة إلى الإيمان بإلهٍ واحد متعالٍ، إلا أن تلك الشعوب لم تلبث أن ضلّت الطريق، فاشتبه عليها الرمز بالمرموز، والصفة بالذات، فعبدت الأرواح والقوى الوسيطة، وظنتها تقرّبها إلى الإله الأعلى، فوقع الشرك، وتاهوا عن المقصد.

لقد كانوا يؤمنون بـ"الإله الأعلى" — أولورون عند اليوروبا، تشوكوو عند الإيغبو، نيامي عند الأشانتي، ونزامبي عند البانتو — ولكنهم ما لبثوا أن أحاطوه بجوقة من الأرواح والأرباب، فجعلوا له شركاء في الدعاء والرجاء، وعبدوا الوسائط عوضًا عن الذات، من جهلهم بحقيقة التوحيد، ومن ضعف الفهم وغلبة التقليد.

ورغم هذا الانحراف، فقد بقيت تلك الديانات تحمل في جوهرها صدى التوحيد القديم، ووميض النور الأول، الذي تجلّى في بعض أسماء الآلهة وصفاتهم، لكنه غاب عن وعيهم، فاختلط بالأسطورة، وذُبِح على مذبح الطقوس.

إنها شهادات من التاريخ على أن فطرة التوحيد مغروسة في كل أمة، لكنها تحتاج إلى من يوقظها، ويعيدها إلى النبع الصافي، حيث لا واسطة تُعبد، ولا صفة تُؤلَّه، بل يُعرف الله بأسمائه الحسنى، ويُعبد وحده لا شريك له.

***

الفصل العاشر: حضارات الأمريكيتين

40 .حضارة الأولمك (1600–400 ق.م) — المكسيك

وصف الحضارة: تُعد حضارة الأولمك من أقدم حضارات أمريكا الوسطى، وكانت بمثابة "حضارة الأم" التي وضعت الأسس الثقافية والدينية للحضارات التالية مثل المايا والأزتك. تميزت بتماثيل الرؤوس العملاقة، والنظام الكهنوتي، والطقوس الدينية الرمزية التي دارت حول قوى الطبيعة.

أشهر الآلهة ومعانيها التوحيدية:

وِريت كواثليك :(Wirikóotl) إله الخلق والسماء، كان يُمثل القوة العليا التي تنظم الكون — يناظر "رب العالمين الخالق العليّ. ."

جاك :(Jaguar God) إله المطر والحرب، رمز القوة والطبيعة البرية — يناظر "الرحمن منزل الغيث" باعتباره معطي المطر والحياة، ولكنهم عبدوه في صورته الحيوانية.

إله الذرة :(Maize God) يمثل الخصوبة والوفرة والغذاء — يناظر "الرحيم الرزاق " لأنه مصدر الرحمة والرزق.

إله الموتى :(God of the Underworld) رمز للعدالة والمصير بعد الموت — يناظر "مالك يوم الدين العادل " ولكن تم تجسيده بصورة مرعبة.

بقية الصفات الإلهية:

العليم: تم تجسيده في الكهنة الذين يدّعون امتلاك الحكمة الإلهية.

القدير: تجلى في إله الرعد والبرق الذي يمثل القوة السماوية.

السميع: اعتقدوا أن أرواح الطبيعة تسمع أدعيتهم وقرابينهم.

الحكيم: عبدوا الحكماء كأنصاف آلهة بسبب معرفتهم بالنجوم والطقس[37].

ملاحظة توحيدية: ضلّ الأولمك في فهم الصفات الإلهية، فحوّلوها إلى تجسيدات مادية وحيوانية، وتاهوا في تعدد المظاهر دون الوصول إلى جوهر الواحد الأحد.

***

[37] المصادر:

Coe, Michael D. The Olmec World: Ritual and Rulership. Princeton University Press, 1995.

Diehl, Richard A. The Olmecs: America's First Civilization. Thames & Hudson, 2004.

Pool, Christopher A. Olmec Archaeology and Early Mesoamerica. Cambridge University Press, 2007.

41 .حضارة المايا (2000 ق.م–1697 م) — أمريكا الوسطى

وصف الحضارة: تميزت حضارة المايا بالتقدم الكبير في العلوم الفلكية والهندسة المعمارية، إضافة إلى تقاليد دينية معقدة. اعتقدوا بوجود آلهة تمثل قوى الطبيعة والتحولات الكونية التي تؤثر على حياة البشر. كما كانت حضارتهم مركزًا هامًا للتجارة والفنون والكتابة.

أشهر الآلهة ومعانيها التوحيدية:

إيتزامنا :(Itzamná) إله السماء والخلق، يُعتبر من أسمى الآلهة في المايا، ويمثل القوة الإلهية الشاملة — يناظر "رب العالمين."الخالق .

تشاك :(Chac) إله المطر والخصوبة، كان يتجسد في صورة شخص مع رأس ثور — يناظر "الرحمن منزل الغيث " لأنه يمنح الحياة من خلال المطر.

كوكولكان :(Kukulkan) إله الرياح والحكمة، يُعتبر رمزًا للرحمة والتعليم، ويرتبط بالزمن — يناظر "الرحيم المؤقت " في كونه يقدم الهداية والراحة.

هوان تيش (Hun Tzi) أو "إله الشمس": إله الحياة والتجدد — يناظر "مالك يوم الدين[38]." الحيّ القيوم, النور .

بقية الصفات الإلهية:

القدير المحيي المميت : تعبر عن قدرة الآلهة في التحكم بالحياة والموت.

---

[38] المصادر:

Sharer, Robert J. The Ancient Maya. Stanford University Press, 1994.

Martin, Simon, and Nikolai Grube. Chronicle of the Maya Kings and Queens. Thames & Hudson, 2000.

العليم الحكيم الدهر اللطيف: تم تجسيد هذا في حكمة آلهة الزمان والمكان، واعتُبروا مصدرًا للمعرفة الإلهية.

السميع: كانت المايا يؤمنون أن الآلهة تسمع صلواتهم ودعواتهم الخاصة، ويجب الاستجابة لها.

ملاحظة توحيدية: رغم تقديسهم للآلهة المتعددة، فإن المايا في جوهرهم كانوا يسعون إلى مبدأ توحيدي عميق تمثل في إيمانهم بآلهة تُجسد الطاقات الكونية التي تتجاوز الأشكال المادية ، ومع ذلك فقد تاهو كغيرهم في معرفة الله.

***

42 .حضارة الأزتك (1300–1521 م) — المكسيك

وصف الحضارة: تأسست حضارة الأزتك في وادي المكسيك، وقد أظهرت تطورًا ثقافيًا ودينيًا عميقًا، حيث كان الدين جزءًا لا يتجزأ من كل جوانب حياتهم. كانوا يعتقدون أن العالم كان بحاجة إلى تضحيات بشرية لاستمرار تدفق الطاقة الكونية.

أشهر الآلهة ومعانيها التوحيدية:

هويتزولوبوتشلي :(Huitzilopochtli) إله الشمس والحرب، كان يُعتبر إله القوة والعدالة — يناظر "رب العالمين النور " في فرضه القانون الكوني وكونه مصدر القوة الحاكمة.

تلالوك :(Tlaloc) إله المطر والماء، كان يُعتقد أنه يملك القدرة على منح الحياة أو تدميرها — يناظر "الرحمن" بصفته مصدر الحياة من خلال المطر.

كوئيتزالكوآتل :(Quetzalcoatl) إله الرياح، كان يُعتبر من آلهة الحكمة والعقل — يناظر "الرحيم الحكيم " في كونه معلمًا يعزز النور الداخلي.

ميكتيكاتسوشاتل :(Mictlantecuhtli) إله الموت والعالم السفلي — يناظر "مالك يوم الدين، العادل " باعتباره الحكَم النهائي في حياة البشر[39].

بقية الصفات الإلهية:

السميع: اعتقد الأزتك أن آلهتهم كانوا يستجيبون للصلوات التي تُرفع إليهم بشكل منتظم.

القدير القوي الجبار المتكبر: تم تجسيد هذه الصفة في الآلهة مثل تلالوك التي تمثل القوة المدمرة للبشر.

ملاحظة توحيدية: رغم تعدد الآلهة، كانت أزتك تؤمن في عمقهم بإله واحد يربط جميع القوى الطبيعية ويضمن استمرارية الحياة.

***

[39] المصادر:

Carrasco, David. City of Sacrifice: The Aztec Empire and the Role of Violence in Civilization. Beacon Press, 2000.

Nicholson, Henry B. The Gods and Goddesses of the Aztecs. British Museum Press, 1993.

43 .حضارة الإنكا (1438–1533 م) — البيرو

وصف الحضارة: تُعد حضارة الإنكا من أعظم الحضارات في أمريكا الجنوبية، وتأسست في منطقة جبال الأنديز. كان لديهم حضارة متطورة في الزراعة والهندسة المعمارية، مع ممارسات دينية تتعلق بقوى الطبيعة وحماة الأجداد.

أشهر الآلهة ومعانيها التوحيدية:

فيراكوتشا :(Viracocha) إله الخلق، كان يُعتبر الخالق العظيم والرب الذي أنشأ الكون وأرواح البشر — يناظر "رب العالمين" الخالق البارئ المصور.

إنتي :(Inti) إله الشمس، الذي كان يُعبد كمصدر للحرارة والحياة — يناظر "الرحمن النور " الذي ينير الحياة من خلال النور.

باكا-تو :(Pacha Mama) إلهة الأرض والخصوبة، كانت تُعتبر الأم التي توفر الحياة لكل شيء على الأرض — يناظر "الرحيم المربي الرزاق " باعتبارها مصدر الرعاية والرزق.

ويراكوكا :(Wiracocha) إله البحر والماء، كان يرمز إلى قدرة الإنكا في استغلال الموارد الطبيعية — يناظر "مالك يوم الدين العادل مالك الملك " في ضبطه للعالم الذي تحكمه.

ملاحظة توحيدية: كان الإنكا يسيرون في طريق توحيدي، رغم تقديسهم للعديد من الآلهة، فقد كانت كل هذه الآلهة تمثل قوى متفرقة لكن يظلون متحدين تحت إله واحد.

***

44 .الهنود الحمر وأديانهم الرمزية

وصف الحضارة: الهنود الحمر في أمريكا الشمالية امتازوا بتعدد الديانات التي ترتبط ارتباطًا وثيقًا بالطبيعة والأرواح. كان لكل قبيلة موروثاتها الخاصة في العبادة، وكانوا يعتقدون أن كل شيء في الكون مرتبط بقوى روحانية، سواء كانت هذه القوى حيوانات أو عناصر طبيعية.

أشهر الآلهة ومعانيها التوحيدية:

الإله الكبير :(Great Spirit) تمثل القوة العظمى التي تسيطر على الكون وتمنح الحياة — يناظر "رب العالمين."الخالق البارئ المصور

الإله الحارس :(Guardian Spirit) كان يُعتقد أن هذا الإله يراقب ويُرشد الأفراد في حياتهم — يناظر "الرحمن الحافظ الحامي " في حمايته ورعايته.

إله النار :(Fire God) كان يُعتبر المصدر الأول للتدفئة والضوء — يناظر "الرحيم" النور .

إله الأرض :(Earth God) يمثل الطبيعة والأرض التي تغذي البشر — يناظر "مالك يوم الدين[40]." العادل مالك الملك .

***

[40] المصادر:

Powers, William C. The Dakota Sioux. Minnesota Historical Society, 2000

Weigle, Marta. Native American Religions: An Introduction. Oxford University Press, 2008.

خلاصة:

تُظهر حضارات الأمريكيتين ارتباطًا عميقًا بقوى الطبيعة وتجسد الصفات الإلهية في شكل آلهة متعددة. ورغم أن هذه الحضارات قد ضلت عن الطريق في فهم جوهر الله ووحدانيته، إلا أنها كانت تسعى إلى الربط بين القوى السماوية والطاقات الطبيعية، دون إدراك للجوهر الواحد للكون.

***

الفصل الحادي عشر: الحضارات البعيدة والجزرية

45 .حضارة الإنويت — القطب الشمالي (منذ 3000 ق.م تقريبًا حتى الحاضر)

عاش الإنويت في البيئات القاسية للقطب الشمالي، معتمدين على الصيد البحري والانسجام مع الطبيعة. انعكست ظروفهم البيئية على عقائدهم، فكانت آلهتهم رموزًا للقوى العظمى في المحيط، والرياح، والحيوانات.

أشهر الآلهة ومعانيها التوحيدية:

سيدنا :(Sedna) سيدة البحر، تمنح الصيادين الرزق أو تحجبه عنهم — تناظر "رب العالمين, الرزاق " كمالكة للطبيعة والرزق.

سيلاك :(Silap Inua) روح الهواء والكون، تُشرف على النظام الطبيعي — تناظر "الرحمن, اللطيف ومجري الرياح، مجري السحاب .

قـاكي :(Qailertetang) إلهة الحماية والرعاية، تتولى أمر الحياة البرية — تناظر "الرحيم.", الحافظ المربي .

تورنراكسواك :(Torngarsuk) روح عظيمة تُحاكم الأرواح بعد الموت — يناظر "مالك يوم الدين, العادل العدل اللطيف الباطن ."

بقية الصفات:

السميع: ظهر في اعتقادهم أن الأرواح تسمع صلوات الشامان.

القدير: تجلّى في القوى التي تهز الطبيعة كالزلازل والعواصف.

كان فهمهم محدودًا، فخلطوا بين الخالق والمخلوق، وأسقطوا القداسة على الأرواح التابعة للطبيعة[41].

***

[41] المصادر:

Rasmussen, Knud. Intellectual Culture of the Iglulik Eskimos. Report of the Fifth Thule Expedition, 1929.

Merkur, Daniel. Becoming Half Hidden: Shamanism and Initiation among the Inuit. Acta Universitatis Stockholmiensis, 1985.

46 .حضارة الأينو — شمال اليابان (منذ 1000 ق.م تقريبًا حتى اليوم)

شعب الأينو من سكان شمال اليابان الأصليين، عاشوا في تفاعل عميق مع الطبيعة، وكانت آلهتهم تمثل "الكموي" أي الأرواح المقدسة التي تحل في الحيوانات والعناصر.

أشهر الآلهة ومعانيها التوحيدية:

كاموي إكوتشي :(Kamuy Ekotci) إله السماء والخالق الأعلى — يناظر "رب العالمين."العليّ الأول .

كاموي فوچي :(Kamuy Fuchi) إلهة النار وحامية البيت — تناظر "الرحمن."الحافظ الحفيظ .

كاموي هيوران :(Kamuy Huraun) إله المطر والخصب — يناظر "الرحيم."منزل الغيث .

كاموي أويكورومي :(Kamuy Oykurumi) روح العقاب والعدالة — يناظر "مالك يوم الدين."العدل العادل الباطن .

بقية الصفات:

القدير االشافي منزل الغيث : ظهرت في اعتقادهم بأن الأرواح تتحكم في المرض والمطر.

السميع: آمنوا أن الأرواح تسمع وتستجيب للصلوات والقرابين.

كان توحيدهم مشوشًا، إذ عبدوا الوسائط بدلًا من الرب المطلق الذي تحل فيه الصفات[42].

---

[42] المصادر:

Munro, Neil Gordon. Ainu Creed and Cult. Columbia University Press, 1963.

Siddle, Richard. Race, Resistance and the Ainu of Japan. Routledge, 1996.

***

47 .حضارات بولينيزيا وهاواي (1500 ق.م–القرن 19 م)

امتدت حضارات بولينيزيا عبر جزر المحيط الهادئ، وازدهرت بعقائد غنية تربط الإنسان بالبحر والسماء، حيث يُعد الملك مظهرًا للإله، والمحيط تجليًا للقداسة.

أشهر الآلهة ومعانيها التوحيدية:

تـاروَا (Ta'aroa) في تاهيتي: الإله الخالق الأول — يناظر "رب العالمين."الأول العليّ ,

كانـي (Kāne) في هاواي: إله الحياة والخصوبة — يناظر "الرحمن."الحي القيوم

لونو :(Lono) إله السلام والمطر والمواسم — يناظر "الرحيم."ينزل الغيث

ميلـي :(Mililani) إلهة الموت والحساب — تناظر "مالك يوم الدين."العدل العادل مالك الملك الباطن .

بقية الصفات:

القدير المسيّر: آمنوا أن الآلهة تسير الأعاصير والبحر.

السميع: أرادوا إرضاء الآلهة عبر شعائر دورية[43].

---

[43] المصادر:

Beckwith, Martha Warren. Hawaiian Mythology. University of Hawaii Press, 1970.

Kirch, Patrick Vinton. The Evolution of the Polynesian Chiefdoms. Cambridge University Press, 1984.

شبهت هذه الحضارات الإله بملوك البشر، وانزلقت إلى عبادة مظاهر الخلق بدل الخالق.

***

48 .حضارات أستراليا الأصلية (منذ 40,000 سنة حتى اليوم)

تُعد من أقدم الثقافات المستمرة على وجه الأرض، وتقوم أساطيرها على مفهوم "الزمن الحلمي " (Dreamtime)، حيث نشأت الكائنات الأولى التي نظّمت الكون ثم انسحبت، لكن بقيت قواها تُفعّل الطقوس والرموز.

أشهر الآلهة ومعانيها التوحيدية:

بايَمي :(Baiame) الخالق، سيد السماء، الذي رسم قوانين الحياة — يناظر "رب العالمين."الخالق البارئ المصوّر

ديلي :(Dilly) الأم الأرض، مانحة الخير والغذاء — تناظر "الرحمن."الرزق

تانامي :(Tanami) روح المطر والنهار والليل — يناظر "الرحيم."ينزل الغيث الظاهر الباطن .

تَنتَني :(Tjilbruke) الكائن الأبوي الذي يُرشد الأرواح بعد الموت — يناظر "مالك يوم الدين الهادي العدل العادل الباطن . ."

بقية الصفات:

الحكيم الهادي : نُسبت للآلهة التي أرشدت البشر إلى الطقوس.

السميع البصير الموحي: ربطوا بين الأغاني والقصص المقدسة وبين تواصل الآلهة مع الناس[44].

---

[44] المصادر:

Stanner, W.E.H. White Man Got No Dreaming. ANU Press, 1979.

ارتكزت العقيدة على وحدة عميقة بين العالم الروحي والمادي، لكنها انزلقت نحو تعدد الروحانيات والشفعاء دون التوحيد الخالص.

***

خاتمة:

تُظهر حضارات الشعوب البعيدة والجزرية رغم تباعدها الجغرافي وحدة روحية فطرية تسعى لفهم القوى العليا التي تسير الوجود. لكنها غالبًا ما تعثرت، فشخصت الصفات الإلهية في رموز طبيعية أو أرواح وسطاء، وانحرفت عن إدراك الأحد الصمد. ورغم ذلك، تبقى آثار التوحيد كامنة في عمق أساطيرهم، شاهدة على أن الأصل واحد، وإن تاهت المسارات.

الفصل الثاني عشر: حضارات منسية

49 .حضارة الباسك — جبال البيرينيه (منذ 3000 ق.م تقريبًا حتى اليوم)

Berndt, Ronald M. and Catherine H. The World of the First Australians. Aboriginal Studies Press, 1985.

شعب الباسك من أقدم الشعوب في أوروبا، احتفظ بلغته وهويته المستقلة رغم الغزو الروماني والإسباني. كانت ديانتهم تدور حول القوى الطبيعية، خاصة الجبال والسماء.

أشهر الآلهة ومعانيها التوحيدية:

ماري :(Mari) سيدة الجبل، روح السماء، تعيش في الغيوم وتسيطر على الطقس — تناظر "رب العالمين."

إيغوي :(Eguzi Amandre) الشمس كرمز للحياة والعطاء — تناظر "الرحمن."النور

إلوري :(Ilargi) القمر، رمز الحماية الليلية والسلام — يناظر "الرحيم."الحفيظ

تارتالو :(Tartalo) كائن قوي يعاقب الظالمين — يناظر "مالك يوم الدين."العادل

بقية الصفات:

الخبير الموحي : نُسبت إلى ماري التي تُخبر الناس بالمستقبل عبر العرافين.

القدير المقدر : ظهرت في قدرتها على التحكم في العواصف والرعد[45].

رغم الطابع الأنثوي لآلهتهم، كانت هناك محاولة بدائية لفهم قوى السماء كرموز متعالية، لكن اختلط عليهم الرمز بالحقيقة.

---

[45] المصادر:

Barandiarán, José Miguel de. Obras Completas: Mitología Vasca. Editorial La Gran Enciclopedia Vasca, 1976.

Douglass, William A. Echoes of the Basque Past: Mythology and Identity. University of Nevada Press, 2001.

***

50 .حضارة الدرافيديين — جنوب الهند (3000–1500 ق.م)

سكنت الشعوب الدرافيدية وادي السند وجنوب الهند قبل الآريين، وكانت لهم لغات وديانات مستقلة. عبدوا أرواحًا طبيعية وشخصيات رمزية تمثل الخلق والخصب.

أشهر الآلهة ومعانيها التوحيدية:

موثيراي :(Muthirai) الإله الخفي، مانح الحياة — يناظر "رب العالمين, الباطن, اللطيف ".

ماريامان :(Mariamman) إلهة المطر والشفاء والرحمة — تناظر "الرحمن", الشافي "

كاروبّاسوامي :(Karuppasamy) حامٍ ليلي وقاضٍ للظالمين — يناظر "مالك يوم الدين , الحافظ ."

إيرولاي :(Erolai) رمز القمر والسكينة — يناظر "الرحيم والنور."

بقية الصفات:

السميع: اعتقدوا أن الآلهة تستجيب للصلاة.

القدير الذي ينزل الغيث: نُسبت إليهم قدرة على إنزال المطر ووقف الأمراض[46].

---

[46] المصادر:

Zvelebil, Kamil. The Smile of Murugan: On Tamil Literature of South India. Brill, 1973.

Hart, George L. The Poems of Ancient Tamil: Their Milieu and Their Sanskrit Counterparts. University of California Press, 1975.

رغم تعددهم الرمزي، بقيت العقيدة في أصلها إشارات إلى صفات خفية للإله الواحد، قبل أن تختلط بالتجسيدات.

***

51 .حضارة الأتراك القدامى في آسيا الوسطى (2000 ق.م–1000 م)

كان الأتراك القدامى بدواً رحّلاً في سهوب آسيا الوسطى، يعبدون السماء العليا "تنغري"، ويؤمنون بالروح الكونية والقدر.

أشهر الآلهة ومعانيها التوحيدية:

تنغري :(Tengri) إله السماء الأعلى، الخالق، والمقدّر لكل شيء — يناظر "رب العالمين."العليّ الخالق

أوماي :(Umay) روح الأمومة والرعاية والرحمة — تناظر "الرحمن."الحافظ المربي

إرليك :(Erlik) إله العالم السفلي، يحاكم الأرواح — يناظر "مالك يوم الدين."العادل مالك الملك الباطن

يونغاي :(Yungay) روح الندى والمطر — يناظر "الرحيم."الذي ينزل الغيث

بقية الصفات:

الحكيم المقدر: ظهرت في إيمانهم بالقدر والنظام الطبيعي.

السميع: تنغري يُستدعى بالدعاء، ويُظن أنه يستجيب[47].

أقرب هذه الحضارات إلى التوحيد، إذ كان تنغري إلهًا أعلى بلا صورة، لكنهم أشركوا به الأرواح والجنود والملوك.

في هذه الحضارات المنسية، نجد صدى التوحيد يهمس في قلب الرموز القديمة، قبل أن تبتلعها الأساطير والتأليه. لقد حاول الإنسان أن يفهم الغيب، فخلع على الشمس والأرض رموز الربوبية، لكنه تاه في التجسيد. ومع ذلك، تبقى أسماء مثل تنغري وماري وموثيراي شاهدة على بحث دائم عن الواحد، وإن اختلط عليه الطريق.

***

خاتمة الكتاب.

وهكذا، تنتهي هذه الرحلة عبر الزمان والمكان، عبر الحضارات والأساطير، عبر الرموز والمعاني، لنصل إلى حقيقة واحدة كانت دومًا تنادينا من أعماق الفطرة: أن لا إله إلا الله. لم يكن هدف هذا الكتاب أن يُدين حضارة، أو يُصوّب عقيدة، أو يُملي إيمانًا، بل أن يُنير الطريق نحو الفهم، ويُوقظ في القلب بوصلة البحث الصادق عن الإله الواحد، الذي لم يغب يومًا عن مشهد التاريخ، وإن غابت عنه العيون.

لقد مرّ الإنسان بمراحل من التيه، عبد خلالها قواه، وظنّها آلهة؛ لكنه كان في كل مرة، في أقصى أعماقه، يفتّش عن منبع تلك القوى، عن الخالق الأول، عن رب العالمين. وحين نقرأ التاريخ بهذه

---

[47] المصادر: Golden, Peter B. An Introduction to the History of the Turkic Peoples. Otto Harrassowitz, 1992. Roux, Jean-Paul. La Religion des Turcs et des Mongols. Payot, 1984.

العين التوحيدية، نُدرك أن الله لم يترك الناس يومًا، بل أرسل إليهم من يُذكّرهم به، في كل أمة، وفي كل عصر، وأن الرسالات لم تكن تنافسًا في العقائد، بل دروبًا مختلفة نحو النور الواحد.

وفي زمنٍ كثرت فيه الأصوات، وتنازعت فيه العقول والقلوب، فإن العودة إلى التوحيد ليست ترفًا فكريًا، بل ضرورة روحية، نجاة للإنسان من التشتّت، ومأوى للفطرة في عالم تتقاذفه الصور والرموز والآلهة الحديثة.

هذا الكتاب دعوة للتأمل، وإيماءة إلى الحق، واعترافٌ بأننا، رغم اختلاف لغاتنا وألواننا وأساطيرنا، لم نكن يومًا بعيدين عن الله، بل كنا نبحث عنه، كلٌّ بلغته، وكلٌّ بطريقته، حتى أضاء الوحي السبيل، وتجلّت الحقيقة بوجهها الكامل في الإسلام.

تم بحمد الله وحده تعالى.

***